الزندقة في مصر والشام في العصر المملوكي

(648–923هـ / 1250–1517م)

دكتورة

سامية علي مصيلحي

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي

كلية الدراسات الإنسانية

جامعة الأزهر

تعرضت الدولة الإسلامية على مر العصور التاريخية لكثير من الحركات الهدامة التي سعت إلى إفساد العقيدة الإسلامية ، ومزجها بكثير من الآراء ، والنحل القديمة ، والأفكار المنحرفة ، التي عملت على تضليل المسلمين ، وتفتيت وحدتهم ، وإبعادهم عن صحيح الدين، ومن أخطر هذه الحركات في العصر المملوكي ، حركة الزندقة .

الزندقة لغة :

ورد في مختار الصحاح أن "الزنديق من الثنوية [(1)] وهو فارسي معرب وجمعه زنادقة ، وقد تزندق ، والاسم الزندقة"[(2)] .

وجاء في لسان العرب أن الزنديق هو "القائل ببقاء الدهر فارسي معرب وهو بالفارسية زندكر أي يقول بدوام الدهر"[(3)] .

وفي القاموس المحيط : "الزنديق بالكسر من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لايؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان أو هو معرب زن دين أي دين المرأة ج زنادقة أو زناديق وقد تزندق والاسم الزندقة ورجل زنديق وزندقي شديد البخل" [(4)]

الزندقة اصطلاحا : الزندقة لفظ مشترك يطلق على معان متعددة مختلفة فيما بينها على الرغم ما قد يجمع بينها من تشابه فكان يطلق على من يؤمن

---

(1) الثنوية : مذهب ديني فلسفي قديم يمثل أحد أطوار الديانة المجوسية شاع في بلاد فارس قبل النصرانية وانتسبت إليه فرق تحمل أسماء أصحابها ومن أقدمها الزرادشتية والديصانية والمانوية والمزدكية .

انظر الموسوعة الميسرة في الأديان ، الرياض ، 1418هـ ، ج2 ، ص1042 .

(2) الرازي : ط/ بيروت ، 1989م ، ص242 ، مادة "ز ن د ق" .

(3) ابن منظور : تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، بيروت ، 1985 ، ج10 ، ص147 ، مادة "زندق" .

(4) مجد الدين الفيروز آبادي : القاهرة ، د.ت ، ج 3 ، ص242 . عبد الله البستاني اللبناني : البستان ، بيروت ، 1927 ، ج1 ، ص1017 ، وانظر أيضا السيد ادي شير : معجم الألفاظ الفارسية المعربة ، بيروت ، 1990م ، ص ص80، 81 .

بالمانوية[1] ، ويثبت أصلين أزليين للعالم ، هما النور والظلمة [2] . ثم أطلق على الدهرية القائلين بأزلية العالم والمنكرين لوجود الله والنبوات والكتب السماوية[3] ، ثم اتسع المعنى في مدلوله وما يراد منه حتى أطلق على كل منكر لأصل من أصول العقيدة وعلى كل مبتدع ما ليس من الدين ، حتى انتهى به الأمر إلى أن أطلق على كل من يكون مذهبه ، مخالفا لمذاهب أهل السنة والجماعة ، أو من كان يحيا حياة المجون ، من الشعراء والكتاب[4] .

مما سبق يتضح أنه لا يوجد اتفاق بين أئمة اللغة وغيرهم على تحديد مفهوم لفظ الزندقة فلا يوجد تعريف جامع مانع لمفهومه ، كما أنه لم يطلق بمعنى واحد في كل عصر ولا على قوم بخصوصهم بل تعددت معانيه واختلفت إطلاقاته مما يدل على التطور والتغير في تفسير المصطلح وتعدد مفهومه[5] .

التعريف المختار لكلمة الزندقة : الزندقة هي اعتقاد الكفر وإظهاره والدعوة إليه كلما سنحت الفرصة – مع إظهار الإسلام – وجحود الكفر وإنكاره إذا ما استتيبوا أو نوقشوا فالزنديق يستتر بعباءة الإسلام لترويج معتقداته وهو

---

(1) المانوية : أتباع ماني (216–276م) الذي ادعى النبوة ، ظهر في بلاد فارس أيام حكم سابور بن أردشير وكان مذهب ماني يقوم على الثنوية أو أن أصل العالم كونان أحدهما النور والآخر الظلمة . انظر : مراد وهبة : معجم المصطلحات الفلسفية ، القاهرة ، 1998 ، ص596 .

(2) عبد الرحمن بدوي : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ، القاهرة ، 1993 ، ص37 ، مراد وهبة : معجم المصطلحات ، ص361 .

(3) سميرة مختار الليثي : حركات الزنادقة في العصر العباسي الأول ، رسالة ماجستير ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، 1968م ، ص15 ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، ج 2 ، ص1075 .

(4) مراد وهبة : معجم المصطلحات ، ص 361 ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، القاهرة ، 1962م ، ج2 ، ص115 ، عبد الرحمن بدوي : من تاريخ الإلحاد ، ص 37 ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج10 ، مادة زندقة ، ص445 ، حاشية 1 .

(5) البقاعي : تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، بيروت ، 1980 ، ص ص184، 185 ، حاشية 1 .

بهذا يختلف عن المنافق الذي يستتر بكفره في باطنه ولا يظهره للآخرين [1] .

عقائدهم :

اشتملت عقائد الزنادقة على كم هائل من صنوف الكفر الصريح والردة الظاهرة كقولهم بالحلول ، وتأليه البشر ، وتشبيه الله – تعالى – بخلقه ، وإنكار النبوة أحيانا ، وادعاء النبوة أحيانا أخرى ، والقول بالتناسخ ، وإنكار القيامة والجنة والنار ، واستحلال المحرمات ، وجحد الواجبات[2] .

حكم الشريعة الإسلامية في الزنديق :

اختلفت كلمة الفقهاء في حكم استتابة الزنادقة وهم على رأيين :

الأول : أنهم لا يستتابون ولا يقبل منهم وهذا ما ذهب إليه المالكية والحنفية في الظاهر والحنابلة والشافعية في رأي [3] . ودليلهم على عدم قبول توبتهم قوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[4] . قال أهل التفسير "أو بأيدينا" أي بالقتل إن أظهرتم ما في قلوبكم وهو كما قالوا لأن العذاب على ما يبطنون من الكفر بأيدي المؤمنين لا يكون إلا بالقتل فلو قبلت توبتهم بعدما ظهرت زندقتهم لم يمكن المؤمنين

---

(1) نفسه ، ص183، 184 .

(2) عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف : مقالات في المذاهب والفرق ، الرياض ، 1413هـ ، ص ص28 ، 29 ، الموسوعة الميسرة في الأديان ، ج2 ، ص1076 .

(3) أحمد محمود كريمة : قضية التكفير في الفقه الإسلامي ، القاهرة ، 1996 ، ص226

(4) سورة التوبة : آية 52 .

أن يتربصوا بالزنادقة أن يصيبهم الله بأيديهم لأنهم كلما أرادوا أن يعذبوهم على ما أظهروه ، أظهروا التوبة فلم يصابوا بأيديهم قط[1].

والثاني : وما ذهب إليه الحنفية في غير الظاهر والشافعية في رأي أنهم يستتابون فالزنديق عندهم كالمرتد تجري عليه أحكامه[2] .

الزندقة في العصر المملوكي :

أحاطت بالعالم الإسلامي في القرن السابع الهجري ظروفا قاسية منها هجوم التتار من ناحية الشرق والمسيحيين الغربيين من ناحية الأندلس ، فضلا عن بقاء بعض الجيوب الصليبية في الشام مما مثل خطرا مباشرا على المسلمين في مصر والشام[3] .

وتوالت الأزمات الطبيعية والاقتصادية على مصر والشام فعانى أهالي البلدين من كثرة الزلازل والمجاعات والأوبئة ، فضلا عن الفتن واختلال الأمن وسطوة المماليك الذين عاشوا في رفاهية وترف وعلى رأسهم السلطان والأمراء والولاة ثم طبقة القضاة وكثير من الفقهاء الذين كانوا يحظون بعناية السلطان والولاة، بينما الأهالي يعيشون في فقر وضنك شديدين وبين الفقر والجهل والضعف تكون البيئة خصبة للخرافات والأباطيل والانحراف عن الدين[4] .

---

(1) ابن تيمية : الصارم المسلول على شاتم الرسول ، تحقيق محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودري ، بيروت ، 1417هـ ، ج3 ، ص652-654

(2) أحمد محمود كريمة : المرجع السابق ، ص226 .

(3) سعيد عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، 1992م ، ص180.

(4) صائب عبد الحميد : ابن تيمية ، حياته ، عقائده ، بيروت ، 1995م ، ص ص19 ، 20 .

أطلت الزندقة في العصر المملوكي متخذة صورا وأشكالا متنوعة ، للتعبير عن نفسها في عصر شهد فتنا عديدة ، بين المسلمين وغيرهم من يهود ونصارى ، وظهرت فرق منحرفة تدعي الإسلام كان لها نشاط واسع وتأثير سلبي على المسلمين ، كذلك انتشر التصوف انتشارا هائلا وبخاصة في القاهرة حتى صار من أبرز الظواهر الدينية في ذلك العصر .

على أن – معظم – سلاطين المماليك لم يتهاونوا أمام عقائد الزنادقة فضربوا على أيديهم وعملوا على استئصالهم والقضاء عليهم حفاظا على الدين وأهله .

كذلك تصدت طائفة من الفقهاء لهؤلاء الزنادقة عن طريق المناظرات معهم ونقض آرائهم ، ودحض حججهم .

ولكن بالرغم من جهود سلاطين المماليك – بوجه عام – في محاربة الزنادقة إلا أن بعضهم كان يغض الطرف عنهم بل ويقربهم ، كما استخدم البعض منهم تهمة الزندقة كسلاح للنيل من المغضوب عليهم من أهل الدولة . ومما يؤسف له أن ذلك كان يتم بمباركة بعض الفقهاء ممن عرف بحب المناصب والجاه والتردد إلى أبواب السلاطين[1] .

ولنستعرض صور الزندقة في العصر المملوكي :

أولا : الزندقة في مصر :

زندقة بعض الفقهاء :

من العجيب والمؤسف معا أن بعض الفقهاء ممن وصفوا بالعلم والفضل والذكاء ، والمهارة في البحث ، والمناظرة في العلم اعتادوا التلفظ بالكفر وإظهار التلاعب بالدين ، والاستخفاف بالشرع الشريف ،

---

(1) السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد علي النجار وآخرون ، القاهرة ، 1948 ، ص68 .

والطعن في الأنبياء ، وغيرها من أمور الزندقة ، والانحلال العقائدي ، من هؤلاء : فتح الدين أحمد بن محمد البققي الحموي ، ولد سنة ستمائة وستين تقريبا وتفقه في الدين [1]. وكان ذكيا "حاد الخاطر" ، جيد الذهن ، له معرفة بالأدب والعلوم القديمة [2] . كان البققي مقيما بالديار المصرية "يبحث ويناظر ويذاكر بالفوائد المنتقاه ويحاضر ، قلما ناظر أحدا إلا قطعه ، وأتى به إلى مضيق التسليم ، ودفعه" [3] .

إلا أنه مع مهارته وحرصه على البحث والمناظرة ، لم ينفعه علمه ، فقد كان البققي قليل الدين ، سئ الاعتقاد ، كثير الزندقة ، وكانت البينة قد قامت عليه بما يوجب قتله ، من الاستهزاء بالشرع والاستهتار بالقرآن الكريم وتحليل المحرمات والاستخفاف بالعلماء والقدح فيهم ، وكتب القضاه محضرا في عام 686هـ/ 1287م يثبت زندقته [4] ، إلا أنه كان متصلا بخدمة الأمير شمس الدين سنقر وكان يلاعبه بالنرد ولهذا دافع عنه وحال دون معاقبته ، حتى وقع الخلاف بينهما ففحش البققي بكلامه معه ، ولعل الأمير شمس الدين هو من تكلم فيه للقاضي زين الدين بن مخلوف المالكي (ت 718هـ/ 1318م)

---

(1) ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، حيدر آباد ، الدكن ، ج 1 ، ص308 ، ترجمة رقم 784 .

(2) المقريزي : السلوك في معرفة دول الملوك ، القاهرة ، 2006م ، ج1 قسم 3 ، ص925 ، ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، تحقيق د. محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984 ، ج2 ، ص187 ، ترجمة رقم 306 .

(3) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، تحقيق د. علي أبو زيد وآخرون ، بيروت ، 1998، ج1 ، ص356 ، ترجمة رقم 182 ، ابن حبيب : تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين ، دار الكتب ، 1976 ، ج1 ، ص241 .

(4) زترشتين : تاريخ سلاطين المماليك ، ليدن ، 1919م ، ص104 ، اليونيني : ذيل مرآة الزمان، تحقيق د.حمزة عباس ، أبو ظبي ، 2007 ، ج1 ، ص531 ، ابن حجر : المصدر السابق ، ج1 ، ص308 .

وقال "أنا ما أحمي رجلا كافرا" ، فكان هذا سبب اعتقاله عام 701هـ/ 1301م[1] .

وكان ابن البققي يستخف بالقاضي المالكي زين الدين علي بن مخلوف ، ويطعن فيه فكان ذلك يبلغه مما أثار حنقه عليه ودفعه للقيام في أمره [2] .

فلما ظفر بالمحضر المكتتب عليه عام 686هـ/ 1287م ، استدعاه وأحضر الشهود – الذين زاد عددهم على ثلاثين نفر – فشهدوا عليه بأنواع شتى من الكفر والزندقة [3] . وكان مما حفظ عليه أنه قال "لو كان لصاحب

---

(1) الدواداري : الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق هانس روبرت رويمر ، القاهرة ، 1960 ، ص ص76، 77 .

مما يدل على الاستهانة بالدين ، فلم يهتم الأمير بزندقة ابن البققي واستهزائه بالشرع وتجاهل حكم العلماء عليه بالزندقة وتدخل لحمايته .

وعندما تعلق الأمر به دفعه حقده الشخصي للتخلص من البققي تحت دعوى الزندقة .

(2) المقريزي : السلوك ، ج1 ، قسم 3 ، ص925 ، العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1992 ، ج4 ، ص179 .

ونلمس هنا أيضا أن القاضي المالكي لم يغضب لله وإنما غضب لنفسه وتحركه ضد البققي بسبب ما كان يقوله عنه ولولا خصومته معه ما قتل . فالزندقة ثابتة على ابن البققي منذ عام 686هـ/1287م ، ومع هذا استمر في استهتاره واستخفافه بالدين ووقوعه في حق الرسول صلى الله عليه وسلم مما يوجب قتله "وما اختلف أحد في فساد عقيدته" على قول النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق فهيم محمد علوي شلتوت ، دار الكتب ، 2002م ، ج32، ص15 .

(3) زترشتين : المصدر السابق ، ص ص 104 ، 105 ، اليونيني : المصدر السابق ، ج1 ، ص531 .

مقامات الحريري [1] حظ تليت المقامات في المحاريب" وإنه كان يفطر في نهار رمضان بغير عذر وينكر على من يصوم . وأنه كان يضع الربعة (المصحف) تحت رجليه ويصعد فوقها ليتناول حاجة له من الرف [2]. وذكر عنه أنه قال عن رسول الله ﷺ "أشياء ينتقصه بها" [3] . كما أنه كان يحل المحرمات "من اللواطة وشرب الخمر لمن يجتمع بهم من الفسقة من الترك وغيرهم من الجهلة" [4] .

ورغم إنكار ابن البققي إلا أن البينة قامت عليه فحبس "ليبدي الدافع في الشهود" ، وكتب المالكي محضرا بزندقته وإراقة دمه ولا قبول لتوبته وإن أسلم [5] .

---

(1) مقامات الحريري : المقامات فن من فنون الكتابة العربية ابتكره بديع الزمان الهمداني وهو نوع من القصص القصيرة ، تعتمد على السجع والبديع .
والحريري هو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري ، ولد بالعراق ، وتوفي عام 516هـ/ 1112م وعدد مقاماته خمسون مقامة . انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، 1968 ، ج4 ، ص63-70 .

(2) المقريزي : السلوك ، ج1 ، قسم 3 ، ص925 ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج1 ، ص310 ، ذكر العيني : أن جماعة ممن تناولوا الطعام في بيته شهدوا عليه "أنه قام إلى رف عنده في البيت يتناول منه شيئا فقصرت يده عنه فوضع الكتاب العزيز تحت رجليه ليطول إلى الرف فقاموا وأنكروا عليه فشرع في سبهم بأنهم ناس حمير ثم تلفظ بعد ذلك بالكفر" . انظر عقد الجمان ، ج4 ، ص179 .

(3) البرزالي : المقتفى على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ، 2006م ، ج2 ، قسم 1 ، ص170 .

(4) ابن كثير : البداية والنهاية ، بيروت ، 2006 ، ج9 ، ص297 ، العيني : المصدر السابق ، ج4 ، ص178 ، البرزالي : المصدر السابق ، ج2 ، قسم 1 ، ص170 .

(5) ابن حجر : المصدر السابق ، ج 1 ، ص311 ، زترشتين : المصدر السابق ، ص ص104 ، 105 .

أراد البققي أن يكسب أنصارا له من القضاه فكتب من محبسه فتاوى برأ فيها نفسه من الزندقة وبعثها إلى القاضي تقي الدين ابن دقيق العيد (ت 702هـ/1302م) وكتب عليها ﴿قُل لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغَفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ﴾[1] فرفض ابن دقيق العيد قتله لنطقه بالشهادتين [2] .

وسعى والي القاهرة ناصر الدين ابن الشيخي وجماعة من أكابر القبط في مساعدة ابن البققي فعملوا على نقله من القاضي المالكي إلى القاضي الشافعي [3] ، وأشاروا عليه أن يكتب محضرا بأنه مجنون ليعفى من القتل [4] .

خشي أعداء البققي أن تنجح هذه المحاولات في إنقاذ حياته فكتب شهاب الدين الاعزازي (ت 710هـ/1310م) للقاضي المالكي :

---

(1) سورة الأنفال : آية 38 .

(2) زترشتين : المصدر السابق ، ص105 ، المقريزي : المصدر السابق ، ج 1 ، قسم 3 ، ص925 ، الدواداري : كنز الدرر ، ج9 ، ص77 .

وذكر المالكية أن هذه الآية نزلت في حق الكفار إذا رجعوا ثم أسلموا ثم رجعوا .

انظر : الدواداري : نفسه.

(3) وذلك لأن مذهب الإمام مالك ينفذ في المدعى عليه كالسهم من الرمية ، وذلك حسب تعبير ابن تغري بردي: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ، كاليفورنيا ، 1930م ، ج3 ، ص519.

(4) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج 1 ، ص311 ، المقريزي : المصدر السابق ، ج 1 ، قسم 3 ، ص926 .

كان ادعاء الجنون وسيلة اتخذها بعض الزنادقة في العصر المملوكي للإفلات من القتل .

قل للإمام المرتضى وكاشف المشكل والمبهم والتهم

لا تهمل الكافر واعمل بما قد جاء في الكافر عن مسلم

وقم لهذا الدين واغضب له واقض بما جئ به واحكم

واسفك دماء البقفي الذي يعرف بالزنديق والمجرم

فإنه والله والصادق المبعوث في الناس حلال الدم [1]

كما كتب فيه شمس الدين محمد بن دانيال (ت 710هـ/1310م) :

يظن فتى البققي أنه سيخلص من قبضة المالكي

نعم سوف يسلمه المالكي قريبا ولكن إلى مالك [2]

صمم القاضي المالكي ابن مخلوف على قتل البققي ، فاجتمع بالسلطان الناصر محمد ابن قلاوون (ت 741هـ/ 1340م) واستأذنه في

---

(1) زترشتين : المصدر السابق ، ص 105 ، اليونيني : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص532 ، 533 .

(2) الصفدي : أعيان العصر ، ج 1 ، ص359 ، الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج 8 ، ص159 ، ترجمة رقم 3583 .

ذلك ، وقال له "قد ثبت عندي كفره وزندقته" [1] . فعقد – بأمر السلطان – مجلس بحضور الحكام والوالي والحاجب والقضاة الأربعة . وفي يوم الإثنين 24 ربيع الأول عام 701هـ/ 1301م ، أحضروا فتح الدين ابن البققي من سجنه بالقاهرة إلى بين القصرين وأوقف أمام شباك دار الحديث الكاملية [2] ، بين يدي القضاة والفقهاء والشيوخ – والزنجير في رقبته – فلفظ بالشهادتين واستغاث بالشيخ ابن دقيق العيد فقال له أمرك إلى القاضي المالكي ، فأخذ يصيح "يامسلمين أنا أشهد أن لا إله إلا الله أنا كافر وقد أسلمت" فلم يقبل القاضي المالكي منه ذلك وأمر بضرب رقبته[3] . فتقدم إليه علاء الدين أقبرص [4] وكان قوي اليد ماضي السيف فضربه ثلاث ضربات وأراد بذلك تعذيبه [5] ، "ثم تم حز الرقبة بالسكين على يد رجل من الضوية" [6] ، وحمل الرأس على رمح وطيف به في البلد

---

(1) العيني : عقد الجمان ، ج4 ، ص181 .

(2) أنشأها الملك محمد بن الملك العادل الأيوبي (ت 635هـ/ 1238م) وهي ثاني دار عملت للحديث على وجه الأرض بعد دار الحديث النورية بدمشق . انظر المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة ، ط/ثانية ، 1987م ، ج2 ، ص375 .

(3) زترشتين : المصدر السابق ، ص 105 ، اليونيني : المصدر السابق ، ج 1 ، ص532 ، البرزالي : المصدر السابق ، ج2 ، قسم 1 ، ص ص169 ، 170 .

(4) ذكر علاء الدين أقبرص الموصلي أنه رافق ابن البققي في رحلة من حماه "وأنه سمع منه ألفاظا من الزندقة حتى هم مرارا أن يضرب عنقه ثم قدر الله قتله بسيف الشرع بيده" . انظر النويري : نهاية الأرب ، ج32 ، ص15 .

(5) العيني : المصدر السابق ، ج4 ، ص181 .

(6) الضوية : هم المشاعلية المكلفون بأعمال الإضاءة ويقال لهم أرباب الضوء والمشاعلية وقد ذكر السبكي أنهم كانوا يكلفون بتنفيذ أحكام القتل وأن عليهم أن يحسنوا القتلة وهذا يفسر لنا قيام أحدهم بالإجهاز على ابن البققي . انظر : السبكي :

ونودي عليه : "هذا جزاء من طعن في الله ورسوله" [1] . أما جسده فسحب "عريان على الأرض إلى أن خرجوا من باب زويلة فصلب هناك" ثم دفن[2] .

وقال فيه شمس الدين محمد بن دانيال لما ضربت عنقه :

لا تلم البقي في فعله ... إن زاغ تضليلا عن الحق

لو هذب الناموس أخلاقه ... ما كان منسوبا إلى البق [3]

وهناك إسماعيل بن سعيد الكردي المقرئ المصري ، "كان عارفا بالقراءات والفقه والنحو والتصريف ويحفظ كثيرا من التوراة والإنجيل ويحل الحاوي في الفقه ويحفظ العمدة في الحديث" [4] ، غير أنه كان كثير الهزل

معيد النعم ومبيد النقم ، بيروت ، 2007م ، ص110 ، زين الدين شمس الدين نجم : معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية ، القاهرة ، 2006م ، ص492 .

(1) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 9 ، ص297 ، البرزالي : المصدر السابق ، ج 2 ، قسم 1 ، ص170 .

(2) النويري : نهاية الأرب ، ج 32 ، ص15 ، زترشتين : المصدر السابق ، ص 105 ، اليونيني: المصدر السابق ، ج 1 ، ص531 ، الدواداري : المصدر السابق ، ج 9 ، ص77 .

(3) الصفدي : أعيان العصر ، ج 1 ، ص358 ، العيني : المصدر السابق ، ج 4 ، ص182 ، ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج2 ، ص188 .

(4) المقريزي : السلوك ، ج2 ، قسم 1 ، ص212 ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في محاسن مصر والقاهرة ، دار الكتب ، القاهرة ، 1935–1956م ، ج9 ، ص250 .

والمجون فحفظت عنه أمور قبيحة في حق الأنبياء وكان يتجاهر بالمعاصي حتى رمي بالزندقة فصار يقال له إسماعيل الكافر وإسماعيل الزنديق [1].

ادعى عليه جماعة عند القاضي تقي الدين بن الإخنائي (ت 750هـ/1349م) بأنه وقع في حق نبي الله لوط عليه السلام فلما استدعاه القاضي تظاهر باختلال عقله لينجو من العقوبة فحبس . ثم أخبر أحد الصالحين – وهو الشيخ أبو بكر بن الفرج الهيثمي – القاضي بأنه رأى النبي ﷺ في منامه فقال له "قل للإخنائي يضرب رقبة إسماعيل فإنه سب أخي لوطا" [2].

فعقد له القاضي مجلسا وأقيمت عليه البينة بأمور كثيرة قبيحة ، فأمر به فضربت عنقه بعد صلاة العصر من يوم الإثنين 23 صفر عام 720هـ/1320م بين القصرين بالقاهرة بحضور القضاة الأربعة وجماعة كبيرة من الفقهاء المالكية والشافعية وغيرهم وكان يوما مشهودا[3].

وكانوا قبل قتله قد عرضوا عليه الشهادة لعلها تنفعه ، إلا أنه لم ينطقها وظل يهذي بكلامه ظنا منه أن هذا ينفعه عند القضاة للدلالة على زوال عقله ، فلم يفده ذلك وضربت عنقه وألقيت جثته ورأسه بين القصرين إلى ما بعد المغرب ثم حمل ودفن[4] .

---

(1) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج 1 ، ص367 ، البرزالي : المصدر السابق ، ج 2 ، قسم 2 ، ص216 .

(2) النويري : نهاية الأرب ، ج 32 ، ص ص321 ، 322 ، ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج2 ، ص432 ، ابن حجر : الدرر ، ج1 ، ص367 .
ظاهرة الأحلام كانت واضحة ومتكررة في العصر المملوكي فيجب قبولها بحذر .

(3) البرزالي : المصدر السابق ، ج2 ، قسم 2 ، ص416 .

(4) النويري : نهاية الأرب ، ج32 ، ص322 .

وكان شمس الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن اللبان الفقيه الشافعي قد "نسبت إليه عظائم : منها أنه قال في ميعاده بجامع مصر أن السجود للصنم غير محرم ، وأنه يفضل الشيخ ياقوت العرشي شيخه على بعض الصحابة"[1] . فأحضر في يوم عاشوراء من عام 737هـ/1336م إلى مجلس الحكم الشافعي وحضر معه القاضي شهاب الدين ابن فضل الله وشيخ الشيوخ مجد الدين الأقصرائي والشيخ شمس الدين الأصبهاني "فادعى عليه بأشياء منكرة من الحلول والاتحاد والغلو في القرمطة وغير ذلك" [2] ، وشهد عليه [3] فأقر ببعضها فحكم بحقن دمه [4] ، ورسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون بخروجه من مصر ، ثم تراجع عن ذلك[5].

---

(1) المقريزي : السلوك ، ج2 ، قسم 2 ، ص408 .

(2) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 9 ، ص440 ، ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ، 2006م ، ج3 ، ص927 .

القرامطة فرقة باطنية هدامة تنتسب إلى حمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط لقصر قامته وهو من خوزستان في الأهواز ثم رحل إلى الكوفة وظاهر هذه الحركة التشيع لآل البيت وحقيقتها الإلحاد والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية .

الموسوعة الميسرة للأديان ، ج1 ، ص381 ، وانظر أيضا ابن الجوزي : المنظم في تواريخ الملوك والأمم ، ج 9 ، تحقيق سهيل زكار ، بيروت ، 1995 ، صث 231-241 .

(3) ابن حجر : ذيل العبر ، ص 194 ، الذهبي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ، 1351هـ ، ج6 ، ص114 .

(4) ابن كثير : المصدر السابق ، ج9 ، ص440 .

(5) ابن الجزري : المصدر السابق ، ج3 ، ص927 .

وتوسط في أمره الأمير جنكلي بن البابا والأمير الحاج أل ملك ، والأمير أيدمر الخطيري ، حتى حكم بتوبته ، ومنع من الوعظ[1] .

ومنهم أيضا حسام الدين حسن بن محمد بن محمد الغوري الحنفي قاضي مصر والذي ولد ببغداد وتولى بها الحسبة ثم القضاء وعندما وقعت الفتنة ببغداد [2] خرج منها بصحبة الوزير نجم الدين محمود بن علي بن شروان إلى مصر في صفر عام 738هـ/ 1337م حيث أكرمهما السلطان الناصر محمد بن قلاوون واستقر حسام الدين الغوري في قضاء الحنفية عوضا عن برهان الدين إبراهيم بن علي بن عبد الحق[3] .

سار القاضي حسام الدين الغوري سيرة قبيحة واشتهر ببذاءة لسانه حتى إنه كتب إلى ناظر الدولة يشتكي له من توقف صرف راتبه ، فأفحش القول في الكتاب حتى غضب ناظر الدولة والكتاب وشكوه للسلطان [4] وذكروا عنه "تسلطه على أعراض الناس وسفه قوله"[5] .

---

(1) المقريزي : السلوك ، ج2 ، قسم 2 ، ص408 ، ابن كثير : المصدر السابق ، ج9 ، ص440، ابن الجزري : حوادث الزمان ، ج3 ، ص927 .

ونلاحظ هنا أن وساطة الأمراء كان لها دورا كبيرا في إنقاذه وقبول توبته .

(2) انظر عنها : المقريزي : المصدر السابق ، ج2 ، قسم 2 ، ص ص437 ، 438 .

(3) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج2 ، ص ص151 ، 152 ، ترجمة رقم 1564 .

(4) كان ذلك في ولاية الملك المنصور أبو بكر ابن الملك الناصر محمد (741-742هـ/1340-1342م) .

(5) المقريزي : المصدر السابق ، ج2 ، قسم 2 ، صص565،566 .

وكان القاضي حسام الدين الغوري مبغوضا من القضاة لفسقه وقبح أفعاله[1] ، وكان كثير القدح فيهم عند السلطان متى سنحت له الفرصة بذلك "ومجونه وجنونه كثير ، له فيه نوادر مستقبحة وقبائح شنيعة"[2] .

وفي أثناء الاحتفال بتنصيب السلطان الناصر أحمد بن الناصر محمد[3] (خلع في محرم عام 742هـ/1243م) بحضور الخليفة الحاكم بأمر الله وقضاة مصر الأربعة وقضاة دمشق الأربعة وجميع الأمراء والمقدمين ، جمع طباخ المطبخ السلطاني بعض الأوباش وهجموا على القاضي حسام الدين الغوري "لحقد كان في نفسه منه عندما تحاكم هو وزوجته عنده قبل ذلك فأهانه القاضي المذكور" فلما وجد الطباخ الفرصة هجم على القاضي بأوباشه ومزقوا ثيابه وحرقوا عمامته وضربوه بنعالهم ضربا مبرحا ، وقالوا له ياكافر يافاسق حتى أنقذه بعض الأمراء وهو يستغيث وثارت العامة إلى بيته بالمدرسة الصالحية فنهبوه "وكان يوما شنيعا"[4] .

---

(1) ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، تحقيق عدنان درويش ، دمشق ، 1977 ، ج1 ، ص239 ، المقريزي : المصدر السابق ، ج2 ، قسم 2 ، ص611 .

(2) المقريزي : نفسه ، ص612 .

ومما روي عنه أنه كان إذا تحاكم إليه رجل وامرأته نصر المرأة وتكلم بما لا يليق حتى قال لامرأة اكشفي وجهك فكشفت وجهها فقال لأبيها يامدمغ (يا أحمق) مثل هذه تزوجها بهذا المهر والله إن مبيتها ليلة يسوى أكثر من ذلك" .

انظر ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج 2 ، ص152 ، المقريزي : المصدر السابق ، ج2 ، قسم 2 ، ص ص611 ، 612 .

(3) كان ذلك في يوم الإثنين 10 شوال عام 742هـ/1342م .

(4) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج 10 ، ص ص60 ، 61 ، المقريزي : السلوك ، ج2 ، قسم 3 ، ص603.

وكتبت في القاضي محاضر عديدة "وكانت البينة قد قامت عليه بأشياء منكرة جدا" منها وقوعه في حق سبعة من الأنبياء عليهم السلام[1] .

وعندما تكاملت المحاضر أرادوا قتله فتعصب له الأمير سيف الدين طشتمر حمص أخضر [2] ورسم بنفيه من بلاد الإسلام ، فخرج من القاهرة إلى بلاد الشرق في شوال عام 742هـ/1342م[3] .

ومنهم مصطفى القرماني الحلبي وكان فقيها على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه [4] ، وأثناء إلقائه الدرس بالمدرسة الفخارية [5] وقع في خطأ في حق سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام [6] فكفره الشيخ شرف الدين يعقوب يعقوب بن الشيخ جلال الدين التباني وبالغ في التشنيع عليه وشكاه للسلطان برقوق (ت 801هخـ/ 1399م) [7] فعقد له مجلسا في عام 797هـ/ 1396م

---

(1) ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج1 ، ص239 .

(2) ابن حجر : المصدر السابق ، ج2 ، ص152 .

(3) ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج1 ، ص239 .
ونلاحظ هنا أنه مع ثبوت البينة بالزندقة وسب الأنبياء إلا أنه لم يقتل واكتفي بنفيه لوساطة الأمير حمص أخضر .

(4) الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ج 1 ، ص401 ، ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج3 ، ص542.

(5) المدرسة الفخرية : عمرها الأمير فخر الدين أبو الفتح عثمان استادار الملك الكامل الأيوبي عام 622هـ وتقع بالقاهرة فيما بين سويقة الصحاب ودرب العداس .
انظر : المقريزي : الخطط ، ج 2 ، ص367 .

(6) قيل إنه قال "ولا يبول أحدا إلى الشمس والقمر لأنهما عبدا من دون الله تعالى" ونسب إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام أنه من عبادهما . انظر : الصيرفي : المصدر السابق ، ابن قاضي شهبة : المصدر السابق .

(7) ابن حجر : أنباء الغمر ، ج 3 ، ص ص241 ، 242 ، ابن إياس : بدائع الزهور ، ج1 ، قسم 2 ، ص473

بحضور السلطان والأمراء وقضاة القضاة الأربعة وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني والفقهاء والعلماء وأراد القاضي المالكي أن يضرب عنقه فتعصب له جماعة من الأمراء واهتموا بأمره وطلبوا من السلطان أن يكون الحكم فيه للقاضي الحنفي فوافق السلطان فقام القاضي وعزره بالحبس والضرب ثم أطلقه لحال سبيله بعد أن حكم بإسلامه[1] .

وهناك قاضي الحنفية جمال الدين يوسف بن موسى بن محمد بن أحمد بن أبي تكين الملطي (ت 803هـ/1400م) عمل بحلب ثم انتقل إلى مصر وأخذ عن علمائها مثل عز الدين بن جماعة وأفتى ودرس في المدرسة الصرغتمشية المجاورة لجامع ابن طولون [2] إلا أنه باشر القضاء مباشرة عجيبة فقرب الفساق واستبدل الأوقاف وقتل مسلما بنصراني وأفتى بأكل الحشيش[3] وكان يقول "من نظر في كتاب البخاري تزندق"[4] .

وفي جمادى الأولى من عام 913هـ/1507م وقع من خطيب بعض الجوامع ويدعى عمر بن علاء الدين النقيب الحنفي المحلي كلام فاحش في حق سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وكان ذلك في عهد السلطان الغوري

---

(1) الصيرفي : المصدر السابق ، ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ويذكر ابن حجر : أن الذي دفع الشيخ شرف الدين لذلك أنه كان يطمع في تولي التدريس بالمدرسة الفخارية بعد وفاة أبيه فغلب عليها الشيخ مصطفى القرماني فحملها له في نفسه إلى أن وقع منه خطأ فاتهمه بما اتهمه به . انظر انباء الغمر ، بيروت ، 1986م ، ج3 ، ص ص241 ، 242 .

(2) المقريزي : المصدر السابق ، ج 3 ، قسم 2 ، ص926 ، ابن حجر : المصدر السابق ، ج4 ، ص346 ، 347 .

(3) الذهبي : شذرات الذهب ، ج7 ، ص40 .

(4) ابن حجر : المصدر السابق ، ج 4 ، ص348 . لم يحاكم الملطي على زندقته بل ولم تكتب فيه محاضر بما قام به أثناء مباشرته للقضاء .

(906–922هـ/ 1501–1516م) فضبط عليه ذلك فاستتابه بعض القضاة وحكم شمس الدين الحلبي بحقن دمه إلا أن أمره بلغ السلطان فغضب وتعصب لابراهيم عليه السلام وأقسم أن يضرب عنقه ، فعقد مجلسا بحضوره ضم قضاة الشرع الأربعة جمال الدين القلقشندي الشافعي وسري الدين عبد البر بن الشحنة الحنفي وبرهان الدين الدميري المالكي والشهاب أحمد بن الشيشيني الحنبلي وحضره أيضا العلماء وبحثوا هذه المسألة فوقع الشجار بينهم ثم انفض المجلس على أن يسجن الرجل لفترة طويلة حتى يتوب ثم يطلق سراحه ، فسيق إلى السجن[1] .

وقيل عن تقي الدين بن الرومي أحد نواب الحنفية أنه وقع في حق النبي ﷺ "بكلمات غير مشكورة" وكان ذلك في عام 916هـ/1510م وشهد عليه جماعة كثيرة ممن كان حاضرا وأبلغوا السلطان فلما طلع إليه القضاة الأربعة لتهنئته بشهر صفر ، طلب منهم أن يحققوا في أمر ابن الرومي ثم يراجعوا السلطان فيما يثبت عليه ، فاختفى ابن الرومي خوفا من بطش السلطان الذي استمر يطلبه دون جدوى[2] .

عاد ابن الرومي للظهور في عام 919هـ/1513م بعد أن علم أن السلطان أفرج عن المسجونين وأظهر كثيرا من العدل برعيته في تلك الفترة فتجرأ وقابل السلطان الذي عفى عنه[3].

زندقة بعض موظفي الدولة :

---

(1) ابن إياس : المصدر السابق ، ج4 ، ص ص120 ، 121 .
يلاحظ التفاوت في الأحكام بين العلماء في قضايا الزندقة بلا مبرر واضح .
(2) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج4 ، ص ص180 ، 181 .
(3) نفسه ، ص ص319 ، 320 .

ظهرت الزندقة من بعض موظفي الدولة الذين كانوا في مواقع قريبة من السلطة الحاكمة ، ومن كبار رجال الدولة المملوكية والذين كان يفترض فيهم سلامة الاعتقاد والحرص على الدين ، ومن هؤلاء والي قوص عبد المؤمن ابن المجير الموصلي ، أصله من السلامية بالعراق وقدم إلى مصر وكان تاجرا خدم الأمراء واتصل بالسلطان وتقرب للأمير قوصون فترقى وتأمر وكان سئ الاعتقاد ووصف بأنه بلا عقل ولا دين وكان يتجاهر بالرفض ويتغالى في مكانة علي رضي الله عنه ويظهر أمره ويحلف "وحق مولاي علي" فلما انقضت أيام قوصون قبض عليه وسمر [1] على جمل لمدة خمسة أيام ثم شنق في اليوم السادس على قنطرة السد ظاهر مدينة مصر عند الكيمان ، وترك حتى ورم وأكلته الكلاب وكان ذلك في عام 742هـ/1342م[2] ، إلا أنه لم يقتل لزندقته وإنما لقتله الملك المنصور أبي بكر بقوص – بأمر من الأمير قوصون – عام 742هـ/1341م[3] .

كما ضربت عنق بعاده [4] مشارف ديوان المواريث الحشرية [5] وذلك في يوم الإثنين أول جمادى الأولى من عام 773هـ/ 1371م ، "لقوادح

---

(1) التسمير : عقوبة تقضي بتعرية المحكوم عليه من الثياب ثم يربط إلى خشبتين على شكل صليب وتدق أعضاؤه في الخشب بواسطة مسامير غلاظ .
انظر سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص 408 .

(2) ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج 1 ، ص272 ، المقريزي : السلوك ، ج 2 ، قسم 3 ، ص604 ، 605 .

(3) المقريزي : نفسه ، ص598 ، 613 .

(4) لا توجد له ترجمة في كتب التراجم المعروفة المتداولة .

(5) المواريث الحشرية : هي تركات "من يموت ولا وارث له ، أو له وارث لا يستغرق ميراثه وكان لها ديوان اسمه ديوان المواريث الحشرية" . انظر : المقريزي : السلوك ، ج1 ، ص770 ، حاشية 2 .

أوجبت إراقة دمه شرعا" [1] ، منها أنه يديم ترك الصلاة فحكم بعض قضاة المالكية بقتله ، فقتل وطيف برأسه . وكان الرهوني قد تعصب له وأفتى بحقن دمه ، فلم يقبل منه . وفي ذلك يقول شهاب الدين بن العطار :

أضحى بعاده يخفي كفرا ويبدي عناده

ولو تشهد قالوا والله ماذا بعاده [2]

ومن رجال الدولة الذين قتلوا على الزندقة أيضا جمال الدين ميخائيل الأسلمي ، وكان نصرانيا وأسلم في شعبان عام 788هـ/ 1386م فقرره السلطان الظاهر برقوق في نظر ثغر الاسكندرية فحصل للناس منه ضرر كبير[3] وأخذوا في المرافعات ضده ، فقبض عليه الأمير جمال الدين محمود شاد الدواوين[4] وسجنه ثم أثبتوا أنه زنديق ، وكتبوا فيه محضرا بشهادة تسعة وأربعون منهم ، فضربت رقبته بالثغر في يوم السبت 13 من ربيع الآخر عام 789هـ/1387م[5] .

---

(1) المقريزي : المصدر السابق ، ج3 ، قسم 1 ، ص196 ، ابن إياس : بدائع الزهور ، ج1 ، قسم 2 ، ص106 .

(2) ابن حجر : انباء الغمر ، ج1 ، ص7 .

(3) ابن حجر : انباء الغمر ، ج 1 ، ص220 ، الصيرفي : نزهة النفوس ، ج 1 ، ص150 .

(4) شاد الدواوين : هو الذي يفتش على الدواوين ويراجع حساباتها . انظر سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص433 .

(5) المقريزي : السلوك ، ج3 ، قسم 3 ، ص562 ، الصيرفي : المصدر السابق ، ج1 ، ص152، ابن حجر: انباء الغمر ، ج2 ، ص256 .

وشرف الدين محمد بن علي الحبري أحد من تولى الحسبة في القاهرة ومصر أكثر من مرة يقع في الكفر في عام 796هـ/1393م فيحكم بقتله ، ثم يعود فيحقن دمه ويكتفى بتعزيره بالضرب والحبس ... ولا نعجب إذن أن يستمر في المجاهرة بالقبائح والسخف والمجون وسوء السيرة حتى وفاته في عام 823هـ/1420م[1] .

وضربت عنق ابن الفقيه أحمد مقدم الدولة[2] في 16 جمادى الأولى من عام 821هـ/ 1418م ، بعد أن ثبت عليه ما يوجب إراقة دمه شرعا[3] .

وادعى على شمس الدين محمد بن الشيخ عز الدين حسن الرازي الحنفي – أحد نواب الحكم – في جمادى الآخرة عام 831هـ/1428م بأنه وقع في حق النبي ﷺ ، ثم ادعى عليه نقيب الحنفي ، بأنه قال له "أنت يهودي" فأنكر التهمتين ، إلا أن البينة قامت عليه بذلك ، ومع هذا حكم بحقن دمه بعد أن عزر وانتهت قضيته[4] .

---

(1) المقريزي : المصدر السابق ، ج4 ، قسم 1 ، ص543 .

(2) مقدم الدولة : "هو الذي يتحدث على الأعوان والمتصرفين لخدمة الوزير والمراد المقدم على الدولة ، والدولة لفظ خصه العرف بمتعلقات الوزارة كما يقال لناظر الدواوين ناظر الدولة...".

انظر : سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص 458 .

(3) المقريزي : المصدر السابق ، ج 4 ، قسم 3 ، ص442 ، ابن حجر : انباء الغمر ، ج7 ، ص304 ، الصيرفي : المصدر السابق ، ج2 ، ص413 .

(4) ابن حجر : المصدر السابق ، ج 3 ، ص401 ، تحقيق د. حسن حبش ، القاهرة ، 1972م .

نلاحظ رغم ثبوت زندقته لوقوعه في حق النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل .

وضربت عنق عمر بن الصابوني ناظر الجوالي [1] عام 885هـ/1480م بعد أن ادعى عليه الأمير ازدمر الاينالي عند قضاة قوص "وأقيمت عليه البينة بشئ يقتضي ضرب عنقه فضربت"[2] .

زندقة بعض العامة في مصر :

انغمس بعض العامة في مصر في الانحلال الديني والاستخفاف بالشرع الشريف والزندقة .

ففي شهر شعبان من عام 657هـ/1258م قبض على رجل يعرف بالكوراني فضرب ضربا مبرحا وحبس لإظهاره البدع ثم جدد إسلامه على يد الشيخ محمد بن عبد السلام الشافعي وأطلق من الاعتقال[3] .

كما ضرب عنق ابن سويرات – وهو من أهل الحسينية بالقاهرة – بسبب أمور تنافي الشريعة وكان القاضي برهان الدين الأخنائي هو الذي حكم بسفك دمه في عام 774هـ/ 1372م[4] .

حادثة برما[1] عام 785هـ/1383م:

---

(1) ناظر : وجمعه نظار ، وهم كبار الموظفين ورؤساء الدواوين الذين شاركوا الوزير في تصريف أعماله . وقد تنوعت ألقاب النظار حسب الأعمال التي قاموا بها وناظر الجوالي هو المسئول عن ضريبة الجوالي من أهل الذمة .

انظر : سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص 464 ، زين العابدين شمس الدين نجم : المرجع السابق ، ص ص521 ، 522 .

(2) ابن طولون : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، بيروت ، 1998 ، ج1 ، ص23 .

(3) بيبرس الدواداري : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، تحقيق د:زبيدة عطا الله ، القاهرة ، د.ت ، ج9 ، ص255 ، المقريزي : السلوك ، ج1 ، قسم 2 ، ص420 .

(4) ابن حجر : انباء الغمر ، ج1 ، ص40 .

اتفق أن جماعة من مسالمة قرية برما عملوا عرسا واجتمع عندهم عدد كبير وأقاموا المغاني والملاهي وما صاحبهما من شرب خمر إلى غير ذلك ، وعندما صعد المؤذن ليسبح الله في الليل كالعادة [2] ، سبوه وأهانوه ثم أنزلوه من المنارة بعد أن ضربوه ، فثار خطيب الجامع ليخلصه منهم فأوسعوه سبا ولعنا وهموا بقتله .

فقدم الخطيب والمؤذن ومعهما جمع من أهل البلد إلى القاهرة ليشكوا أمرهم إلى النائب الأمير سودون الفخري الشيخوني فأرسلهم النائب إلى الأمير جركس الخليلي لأن ناحية برما من جملة إقطاعه . فلما شكوا إليه ما حل بهم لم يلتفت إليهم بل وانتصر للمسالمة وأمر بحبس الذين قدموا للشكوى منهم[3] .

فلما بلغ السلطان (الظاهر برقوق 784–801هـ/ 1382–1399م) خبرهم – عن طريق ناصر الدين ابن المليق الواعظ – غضب على الأمير الخليلي وأمره بالإفراج عنهم وأرسل الأمير ايدكار الحاجب للتحقيق فيما جرى في برما "فتبين له قبح سيرة المسالمة فحملهم معه إلى السلطان"[4] .

---

(1) برما : بليدة ذات أسواق في كورة الغربية من أرض مصر في طريق الاسكندرية من الفسطاط ، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 1 ، تحقيق حسن حبشي ، بيروت ، 1984 ، ص403 .

(2) المقريزي : المصدر السابق ، ج 3 ، قسم 2 ، ص492 ، الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، تحقيق حسن حبشي ، دار الكتب ، 1970م ، ج1 ، ص67 .

(3) ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج 3 ، ص109 ، ابن إياس : بدائع الزهور ، ج1 ، قسم 2 ، ص330 .

(4) المقريزي : المصدر السابق ، ج 3 ، قسم 2 ، ص492 ، ابن إياس : المصدر السابق ، ج1 ، قسم 2 ، ص331 .

أمر السلطان أن يحاكموا عند قاضي المالكية "فادعى عليهم بقوادح وأقيمت البينات بها" [1] ، فحكم بضرب أعناقهم على الزندقة فضربت بحضور القضاة في المجلس وغسلوا وكفنوا ودفنوا بمقابر المسلمين[2] .

وهذا أبو بكر العزولي – شقيق شمس الدين رئيس المؤذنين بجامع ابن طولون – "يدعي المشيخة ويتكلم على الناس فضبطوا عليه قوله : الأنبياء عرايا عن العلم لقوله تعالى "قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا" إلى غير ذلك من الأشياء المنكرة . ورفع بأمره إلى القاضي الشافعي في عام 823هـ/1420م فاكتفى بتعزيره بالقول ومنعه من الكلام[3] .

وفي عام 844هـ/ 1440م عقد مجلس بالصالحية لشخص قرمي إسمه علي بن أخي قطلوخجا [4] بحضور القضاة للنظر في أمر المذكور ، فقد رفع للسلطان جقمق (842–857هـ/1438–1453م) أنه وقع في حق النبي ﷺ بكلام فاحش وأن بعض العوام أنكروا عليه قوله ، وكثر اللغط فخلصه منهم نائب الحكم شهاب الدين ابن عبد الله الحنفي ، فأنكر عليه السلطان ذلك وأمره بإحضاره ، فقبض عليه وهو يحاول الهرب إلى الشام وعقد له مجلسا بالقضاة الأربعة فشهدوا عليه "بما يقتضي الاستهتار بالدين والتنقيص للرسول وشهد أحدهم أنه قال عند كثرة صلاة المصلين على النبي

---

(1) المقريزي : المصدر السابق ، الصيرفي : المصدر السابق ، ص68 .

(2) ابن الصيرفي : نزهة ، ج 1 ، ص69 ، ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ص108 ، المقريزي : المصدر السابق ، ص492 . وهذا يدل على سماحة الإسلام .

(3) ابن حجر : انباء الغمر ، ج7 ، ص393 .
وهذا منتهى التراخي من القاضي الشافعي فسب الأنبياء زندقة واضحة يجب فيها القتل .

(4) انظر القصة في المقريزي : المصدر السابق ، ج 4 ، قسم 3 ، ص1206 حيث وصفه بأنه من سقاط ا لعجم وأنه كان من أشياع الأمير قرقماس المقتول .

ﷺ ... تصلوا ومحمدكم ونبيكم كذا وكذا ، وذكر لفظة بالتركي فاحشة ، وشهد آخر أنه سمعه يخاطب جماعة من المسلمين بما نصه : "ياخنازير ! كل دينكم باطل" . ونقل القضاه ما قاله الشهود للسلطان فأمر القاضي الحنفي بأن يحكم في هذه القضية بنفسه بعد أن علم أن توبة الزنديق لا تقبل في كتب الحنفية .

سعى القاضي للإكثار من الشهود وأحضر المذكور وادعى عليه أنه اعتاد – منذ فترة طويلة – أن يمر بالشوارع ويصرح بسب النبي ﷺ وبسب الصحابة وينظر إلى السماء ويتكلم بكلمات تؤدي إلى الزندقة فأنكر المدعى عليه ذلك . "وشهد عليه شاهدان بأنه قال لفظا بالتركي يقتضي سب البارئ سبحانه السب الفاحش" .... إلى غير ذلك مما شهدوا به عليه ، فزج به إلى السجن فسمعه شاهدان من الناس يتلو قوله تعالى : "ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن" نطق بها بالتاء بدل النون فلما قامت عليه البينة بذلك أمر القاضي بإراقة دمه وعدم قبول توبته فأركب جملا وطافوا به في الشوارع فلما وصل إلى الرميلة أمر السلطان بضرب عنقه فضربت هناك [1] .

وذكر ابن تغري بردي أن الشمس الكاتب أعيد في 9 ربيع الآخر من عام 852هـ/ 1448م للسجن بسبب وقوعه في حق النبي ﷺ[2] .

كما عقد في نفس العام مجلس بين يدي السلطان ادعى فيه على البدر محمود بن عبدالله الحنفي "بأن شخصا كان يقرأ في رياض الصالحين للنووي فيما يتعلق بالبعث وكيفياته فقال هل يصح هذا أو لا يصح" . وتولى

---

(1) ابن حجر : انباء الغمر ، ج9 ، ص122–125 .

(2) ابن تغري بردي : حوادث الدهور ، ج1 ، ص25 .

القاضي الحنبلي أمره فشهد عليه أربعة منهم محجورة أحمد بن فرج أزدمر وتغري برمش الزردكاش فجدد إسلامه وحقن دمه[1] .

وفي جمادى الآخرة من عام 866هـ/1462م ورد الخبر من كاشف الغربية وغيره بأنه في قرية ططية بالوجه الغربي من أعمال القاهرة ، ظهرت جماعة من الزنادقة منهم من ادعى الألوهية ومنهم من ادعى النبوة وانضم إليهم جماعة كثيرة من أوباش الناس ومالوا إلى معتقداتهم ووقعت منهم أمور شنيعة . وأمسك الكاشف منهم حوالي أربعة عشر نفرا وعلى الفور أرسل السلطان إليهم القاضي المالكي محيي الدين عبد القادر بن الوارث أحد نواب الحكم والناصري محمد الخازندار [2] ليتحققا من أمرهم ويقضيا فيهم بالشرع ، وعندما وقف الزنادقة أمام السلطان الأشرف إينال (857-872هـ/1453-1468م) أنكروا ما قيل عنهم فحكم القاضي بتعزيرهم وحبسهم "إلى أن يقتلوا بالشرع إن ثبت ما قيل عنهم فحبسوا جميعا وطال حبسهم سنين"[3] .

---

(1) ابن تغري بردي : المصدر السابق ، ص31 .

(2) الخازندار : المشرف على خزائن السلطان من نقد وأمتعة .

انظر : سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص 417 .

(3) ابن تغري بردي : حوادث الدهور ، ج3 ، ص419-421 .

وهكذا وجد هؤلاء الزنادقة في الريف أرضا خصبة لنشر زندقتهم ووجدوا من يتبعهم لكثرة الجهل والتخلف والبعد عن أعين قضاة مصر وسلطانها فكان الريف مكانا آمنا لزندقة جماعية أضلت كثير من ضعاف النفوس فاتبعوهم ثم كان رد القضاء هزيلا لا يتناسب مع جرمهم ولا يمكن أن يكون رادعا لهم ولأمثالهم .

ولكن يجب أن نلاحظ أن عهد الأشرف اينال اتصف بالضعف وكثرة ثورات المماليك الجلبان الذين ثاروا سبع مرات في عهده الذي استمر ثماني سنوات عانت منها البلاد من النهب والتخريب وكثرة الحرائق والفوضى ولعل هذا يفسر لنا ما حدث في قرية ططية .

وقدم من المحلة في عام 875هـ/ 1470م رجل ادعي عليه بأنه زنديق فدفعه السلطان قايتباي (872–901هـ/ 1468–1496م) للقاضي المالكي ليحكم عليه وشهد عليه جماعة بما يثبت زندقته . فسعى هذا الرجل بمال كثير لدى كاتب السرابن مزهر الأنصاري ليساعده ويدفعه للقاضي الشافعي فرفض قبول المال ورده إليه[1] .

وفي عهد السلطان قانصوة الغوري (906–922هـ/1501–1516م) وقف رجل من فقراء الصعيد – يقال له مهدي – أمام السلطان في عام 911هـ/1505م وقامت عليه البينة "بأنه زنديقا ساحرا يتوضأ باللبن ويستنجأ به" وذكرت عنه – من هذا النمط – أشياء كثيرة كلها تخالف الشريعة ، فأرسله السلطان إلى قاضي القضاة المالكي فحكم بكفره بموجب ما قامت عليه البينة ، وأشهروه[2] على جمل وهو عريان ثم ضربت عنقه تحت شباك المدرسة الصالحية[3] .

---

(1) الصيرفي : انباء الهصر بأبناء العصر ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة 1970م ، ص ص242 243 .

يدل هذا على انتشار ظاهرة البرطلة لقضاء الحوائج وفساد الذمم ، وهو ما جرأ هذا الزنديق أن يعرض أموالا على كاتب السر .

(2) التشهير : عقوبة تقضي بأن يطرح المذنب على ظهر جمل ثم يطاف به في المدينة ليشهر ، وقد تزفه المغاني وهو على هذه الصورة ليجتمع الناس حوله ، وفي نهاية المطاف يضرب أو يوسط أمام الناس .

انظر سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص 409 .

(3) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج4 ، ص97 .

ووقعت الزندقة أيضا في العصر المملوكي من ابن سبع شيخ العرب بزفتى [1] . فاتهم في عام 791هـ/ 1389م بأشياء تنافي الشريعة وشهدت جماعة عليه بذلك عند قاضي القضاة ابن خير المالكي فحكم بإراقة دمه لكفره . فسعى ابن سبع بالمال حتى فوض أمره للقضاه الشافعية وقيل إنه برطل بأربعمائة ألف درهم حتى خلص وحكم بحقن دمه وعقد له مجلسا عند الأمير الكبير الناصري بحضور الشيخ سراج الدين البلقيني [2] والقضاة يومئذ ابن الميلق والطرابلسي وابن خير ونصر الله وحاول الناصري أن يظفر بحكم أحد منهم بقبول إسلام شيخ العرب وحقن دمه فامتنعوا لأن ابن خير قد سبق وحكم بقتله[3] .

فتكلم قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد بن خلدون وقال "يا أمير أنت صاحب الشوكة وحكمك ماض في الأمة ومهما حكمت به نفد" فحكم الأمير الكبير بحقن دمه وإطلاقه فأفرج عنه ولم يعهد قط أن أحدا من أمراء الترك ولا ملوكهم حكم في شئ من هذه الأمور التي هي من اختصاص القضاة[4] .

---

(1) زفتى من المدن المصرية القديمة ، اسمها القبطي "زيتة" والعربي "منية زفته" وهي مدينة زفتى الواقعة على الفرع الشرقي للنيل (فرع دمياط) . انظر : النجوم الزاهرة ، ج12 ، ص112 ، حاشية 5 .

(2) سراج الدين البلقيني : عمر بن رسلان بن نصير بن صالح السراج البلقيني شيخ الإسلام ، ولد عام 724هـ/ وكان حجة في العلم ، توفي في 10 ذي القعدة عام 805هـ/1402م .

انظر : ابن حجر : انباء الغمر ، ج 5 ، ص107−109 .

(3) ابن حجر : نفسه ، ج2 ، ص ص329 ، 330 .

(4) المقريزي : السلوك ، ج3 ، قسم 2 ، ص637 .

وفي عام 866هـ/ 1462م عقد السلطان الأشرف إينال مجلسا بحضور قضاة القضاة والعلماء عند جانبك الدوادار للنظر في الدعاوى المقدمة ضد حمزة بن غيث بن نصير الدين أحد مشايخ العربان بالغربية [1]. وكان قد اتهم بأمور قبيحة ورمي بدعاوى شنيعة منها قتل النفس والتجاهر بالمحرمات والسجود للشمس وأشياء من هذا القبيل ، فحكم عليه القاضي حسام الدين ابن حريز المالكي بسفك دمه وأمر بضرب عنقه فحمل إلى سجن المقشرة[2] وهناك سلخ وحشي تبنا وطيف به على جمل بشوارع القاهرة "ثم حمل على تلك الهيئة إلى بلاد الريف وطيف به القرى والبلاد" ليكون عبرة لغيره ودعى الناس لجانبك الدوادار لأنه كان وراء سلخه وحشوه[3] .

وكالعادة برغم ثبوت الزندقة والقدح في الشرع لا يعاقب المدعى عليه بسبب البرطلة وشفاعة بعض الأمراء.

ويعيب المقريزي على القضاة جبنهم وتركهم الحكم للأمير الكبير ، وعلى أي الأحوال فإن ابن سبع قتل بعد خروجه ، على يد عبيده في الحمام عام 792هـ/1390م .

انظر : ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، ج 1 ، ص301 ، ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ص331.

(1) يلاحظ أنها نفس السنة ا لتي ظهر فيها زنادقة قرية ططية ومن نفس الجهة وهي الغربية .

(2) سجن المقشرة : "هذا السجن بجوار باب الفتوح كان يقشر فيه القمح ومن جملته برج من أبراج السور على يمنة الخارج من باب الفتوح استجد بأعلاه دور لم تزل إلى أن هدمت خزانة شمائل فعين هذا البرج والمقشرة لسجن أرباب الجرائم ... وهو من أشنع السجون وأضيقها يقاسي فيه المسجونون من الغم والكرب ما لا يوصف" .

انظر : المقريزي : الخطط ، ج 2 ، ص188 .

(3) ابن تغري بردي : حوادث الدهور ، ج3 ، ص421 .

يتضح لنا الدور المهم الذي قام به جانبك الدوادار بخاصة إذا علمنا أن السلطان كان قد أبدى بعض التعاطف لحمزة بن غيث "لكثرة ما و عد به من المال" . انظر نفسه .

وشهد العصر المملوكي أيضا زندقة لأحد الأشراف ففي 13 شعبان من عام 812هـ/1409م ضرب عنق أحدهم "لأنه ادعى عليه أنه عوتب في شئ فعله فعذر بسببه فقال "قد ابتلي الأنبياء" فزجر عن ذلك فقال : "قد جرى على رسول الله في حارة اليهود أكثر من هذا" فحكم القاضي المالكي شمس الدين المدني بكفره فضربت عنقه بين القصرين[1].

زندقة بعض المماليك :

وامتدت الزندقة إلى المماليك على اختلاف طوائفهم ، ويؤكد الشجاعى على ذلك فيحدثنا عن الأمير سيف الدين طوغان الشمسي [2] قائلا : "وكان اعتقاده فاسدا وقيل عنه إنه كان إذا طلعت الشمس أشار إليها بالعبودية وكان في ولايته إذا غضب على أحد يقول له : والك انت ابن آدم؟ أنا أحسن أعمل أحسن منك من الزبل" [3] . ونسب إليه استهتار زائد وكلمات مؤذية بالزندقة والانحلال[4] .

---

(1) ابن حجر : انباء الغمر ، ج 6 ، ص172 ، ابن إياس : بدائع ، ج 1 ، قسم 2 ، ص802 ، الذهبي : شذرات الذهب ، ج7 ، ص96 .

(2) أصله مملوك لسنقر الطويل المنصوري ولحاشد الدواوين بمصر في وزارة الجمالي ثم طرد إلى الشام . وتولى شد الدواوين بها . توفي بدمشق عام 741هـ/1340م .
انظر ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج 1 ، ص162 ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج2 ، ص391 ، ترجمة رقم 2050 .

(3) شمس الدين الشجاعي : تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون وأولاده ، ترجمة بربارة شيفر ، فيسبادن ، 1978م ، ص121 .

(4) انظر : ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج 1 ، ص162 ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج2، ص392 .

وفي عام 793هـ/ 1391م ادعى الشريف العقيبي على كل من الأمير الطنبغا الحلبي والأمير الطنبغا دويدار جنتمر بأمور تقتضي الكفر وتوجب إراقة دمهما .

ففي أثناء حصار الظاهر برقوق لدمشق – في العام المذكور – أشار الشريف العقيبي عليهما بتسليم المدينة إلى السلطان فضرباه فاستتشفع إليهما بجده رسول الله ﷺ "فتعرضا للجناب الشريف بما يقتضي الكفر" [1]. واجتمع القضاة وحاجب الحجاب بالمدرسة الصالحية بين القصرين وأحضروا الأميرين وادعي عليهما بما اقتضى إراقة دمهما وشهد الشهود بذلك ، فحكم القاضي المالكي الركراكي بضرب أعناقهما فضربت بين القصرين وطيف برأسيهما مع المشاعلية ونودي عليهما بالقاهرة[2] .

أما الأمير لاجين بن عبد الله الجركسي[3] فكان مشهورا بسوء العقيدة يتبع طريقة ابن عربي[4]، ويناضل عنها وله أتباع في ذلك وأشاع عن نفسه

---

(1) ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج2 ، ص375 ، 395 .

(2) ابن حجر : ابناء الغمر ، ج 3 ، ص74 ، ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ص375 ، 396 ، الصيرفي: نزهة النفوس ، ج1 ، ص793 .

ويعلق ابن قاضي شهبة بقوله : "ولم يسمع أنه اتفق لأحد من الأمراء ، مثل ما اتفق لهما في زماننا" . انظر المصدر السابق ، ص375 .

(3) كانت الجراكسة تعظمه ويعتقدون أنه سيملك الديار المصرية حسب ما كان يزعمه لهم إلا أنه مات وهو جندي في ربيع الآخر ، سنة 804هـ/1401م .

انظر : السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ، 1354هـ ، ج6 ، ص232.

(4) ابن عربي : هو محمد بن علي بن محمد بن عربي الأندلسي أحد فلاسفة التصوف الكبار . طاف بلاد الإسلام وأقام بمكة وصنف بها كتابه المسمى بالفتوحات المكية

أنه سيملك الديار المصرية وأنه إذا تملكها يبطل الأوقاف التي على المساجد والجوامع ويغير معالم الشريعة الإسلامية ، وتوعد شيخ الإسلام البلقيني بأن يكون أول من يعاقبه من فقهاء الدولة فقدر الله موته عام 804هـ/1401م وكفى المسلمين شره[1] .

وكان الأمير سيف الدين بلاط بن عبد الله الناصري الأعرج شاد الشرابخاناه "من مساوئ الدهر فاسقا متهتكا زنديقا يرمى بعظائم في دينه قيل إنه كان يقول للملك الناصر فرج بن برقوق أنت أستاذي وأبي وربي ونبي أنا لا أعرف أحدا غيرك ، وكان يسخر ممن يصلي ويضحك عليه"[2] .

وقد قبض عليه الأمير شيخ المحمودي (ت 824هـ/ 1421م) في موقعة اللجون[3] بالشام عام 815هـ/1412م ، ووسطه فعد قتله من حسنات الملك المؤيد شيخ (815-824هـ/ 1412-1421م) [1] .

في نحو عشرين مجلدا وله كتاب "فصوص الحكم" . انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج9 ، ص102 .

وذهب ابن عربي إلى أن الوجود كله واحد وأن وجود المخلوقات هو عين وجود الخالق ! انظر : محمد صبري الدالي : أتباع ابن عربي وابن الفارض في مصر خلال العصر العثماني، مقال بالمجلة التاريخية المصرية العدد 44 ، العدد الأول مايو سنة 2006م ، ص304 .

وله مصنفات أخرى كثيرة . توفي بدمشق في 22 ربيع الآخر من عام 638هـ/1240م . انظر : ابن كثير : المصدر السابق ، ج9 ، ص102 .

(1) ابن حجر : انباء الغمر ، ج 5 ، ص ص52 ، 53 ، السخاوي : الضوء اللامع ، ج6 ، ص232 .

(2) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج14 ، ص119 .

(3) اللجون : بفتح أوله وضم ثانيه وتشديده : بلد بالأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلا . انظر : البغدادي : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق : علي محمد البجاوي، بيروت، 1992م ، مجلد 3 ، ص1200 .

وفي عهد السلطان الظاهر جقمق (842-857هـ/ 1438-1453م) حكم بقتل الأمير يخشباي الأشرفي أمير أخور [2] الثاني عام 842هـ/1438م وذلك لأنه اتهم بسب شريف هو حسام الدين محمد بن حريز قاضي منفلوط ولم يفده إنكاره بعد ثبوت الشهادة عليه [3] فأخرج من حبسه بثغر الاسكندرية وضربت عنقه[4] .

على أن أبرز زندقة وانحلال من المماليك تمثلت في زندقة السلطان الناصر فرج بن برقوق [5] (801-815هـ/ 1399-1412م) فقد ثبت عليه "من الكفريات والانحلال والزندقة" وحكم ناصر الدين محمد ابن العديم قاضي الحنفية بسفك دمه[6] .

---

(1) المقريزي : السلوك ، ج4 ، قسم 1 ، ص213 ، ابن تغري بردي : المصدر السابق .

(2) أمير أخور : وظيفة يقوم صاحبها بالإشراف على اسطبل السلطان أو الأمير ورعاية ما فيه من خيل وحيوانات . انظر : سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص399 .

(3) ابن حجر : ابناء الغمر ، ج 9 ، ص ص87 ، 88 ، ابن تغري بردي : النجوم ، ج15 ، ص325 .

(4) الصيرفي : نزهة النفوس ، ج4 ، ص133 ، وانظر رأي المقريزي في هذه الحادثة في السلوك ، ج4 ، قسم 3 ، ص1139 ، 1143 ، 1144 .

(5) فرج بن برقوق بن أنس الناصر الزين أبو السعادات الظاهر الجركسي ، ولد سنة 791هـ وحكم بعهد من أبيه في عام 801هـ ، هزمه المؤيد شيخ والأمير نوروز في اللجون بالشام وفر إلى دمشق فتبعه شيخ ومن معه وحاصروه فاستسلم واعتقل في صفر عام 815هـ واستفتوا العلماء فأفتوا بوجوب قتله لما كان يرتكبه من المحرمات والمظالم والفتك العظيم فقتل في ليلة السبت 17 صفر ودفن بدمشق . انظر : السخاوي : الضوء اللامع ، ج6 ، ص168 .

(6) ابن حجر : انباء الغمر ، ج7 ، ص52 .

وتجمع فقهاء مصر والشام بدار السعادة بدمشق وأفتوا بإراقة دمه شرعا فإنه كان مستخفا بعظمة الله وبرسله كثير التجرؤ على الله سبحانه وتعالى ، ولهذا أخذ وقتل[1] .

ووصف الأمير ازدمر الإبراهيمي [2] الظاهري جقمق (ت885هـ/ 1480م) بأنه كان يخوض فيما لا يعنيه مع سوء عقيدة واستخفاف بأمور الدين فضلا عن تنكيله بكثير من الفقهاء وازدرائهم[3] .

ادعاء النبوة :

تنوعت صور الزندقة وأشكالها حتى وصل الأمر بهؤلاء إلى ممارسات كثيرة وخروج على صحيح الدين ، كان منها ادعائهم للنبوة . فكان أول من ادعى ذلك في العصر المملوكي ، أقوش القبجاقي الصالحي النجمي وكان أحد المماليك الصالحية ، فلما ادعى النبوة أحضره نائب السلطان بيبرس البندقداري (658–675هـ/ 1260–1277م) – لتغيب السلطان بالشام – إلى دار العدل في رمضان من عام 665هـ/1267م وأمر باعتقاله في خزانة البنود[4] فلما عاد السلطان من الشام أحضره وسمع كلامه كلامه ثم أمر بتسميره[1] .

---

(1) المقريزي : السلوك ، ج4 ، قسم 1 ، ص223–224 ، 227 .

(2) الأمير ازدمر الطويل : كان بعد أستاذه ووله مبجلا في الأيام الأشرفية فلما تولى الظاهر خشقدم أمره عشرة ثم نفاه فقدمه الأشرف قايتباي وأعطاه الحجوبية ثم انتهى أمره إلى أن سيق إلى أسيوط حيث قتل خنقا عام 885هـ/1480م .

انظر : السخاوي : الضوء اللامع ، ج 2 ، ص273 .

(3) نفسه ، ج2 ، ص274 .

(4) خزانة البنود : قال عنها المقريزي : هذه الخزانة بالقاهرة هي الآن زقاق يعرف بخط بخط خزانة البنود على يمنة من سلك من رحبة باب العيد يريد درب ملوخيا وغيره وكانت في الدولة الفاطمية خزانة يعمل فيها السلاح، ثم صارت سجنا لأمراء الدولة

ثم ظهر رجل بالقاهرة في عام 701هـ/1301م ادعى أنه المهدي وأنه من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما "وأنه ينذر بوقائع يعلم وقوعها" [2] ، منها أن العدو سيطرق البلاد في شهر رجب ويرى الناس غاية العجب فلم يقع مما قاله شئ [3] . وظهر أن به فسادا في عقله فعزر تأديبا له ثم أخلوا سبيله[4] .

وفي عهد السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح ابن الناصر محمد (752-756هـ/ 1351-1354م) ادعى رجل النبوة بالقاهرة في عام 752هـ/1351م ، وأن معجزته "أن ينكح امرأة فتلد من وقتها ولدا ذكرا يخبر بصحة نبوته" فقيل له أنت بئس النبي فقال لهم "لكونكم بئس الأمة" فسجن وكشف أمره فتبين لهم أنه مجنون وأنه غادر المارستان منذ اثنى عشر يوما[5] .

وأعيانها وظلت سجنا في العصر الأيوبي ثم أسكن فيها الأمراء الفرنج وأسرهم على عهد الناصر محمد بن قلاوون إلى أن هدمها الأمير الحاج آل ملك وحكر مكانها .
انظر : المقريزي : الخطط ، ج 2 ، ص188 .

(1) النويري : نهاية الأرب ، ج3 ، ص147 ، الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام ، تحقيق بشار عواد معروف ، بيروت ، 2003 ، مجلد 15 ، ص110 ، الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج9 ، ص188 .

(2) بيبرس الدواداري : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، ج 9 ، ص347 ، العيني : عقد الجمان ، ج4 ، ص193

(3) بيبرس المنصوري : مختار الأخبار ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، القاهرة ، 1993 ، ص118 .

(4) بيبرس الدواداري : زبدة الفكرة ، ج9 ، ص ص347 ، العيني : عقد الجمان ، ج 4 ، ص193 .

(5) المقريزي : المصدر السابق ، ج 2 ، قسم 3 ، ص866 ، 867 ، ابن تغري بردي : النجوم ، ج10 ، ص269 ، 270 .

ويتوالى ادعاء المجانين النبوة ففي عام 781هـ/1379م قبض بمصر على رجل ادعى النبوة وأنه محمد بن عبد الله النبي الأمي وادعى أن معجزته أن أحرف القرآن تنطق له واعترف بنبوة الرسول ﷺ وأقر بأنه أرسل بعده ليقرر شرعه وأنه وعد بالسلطنة والحكم بالعدل [1] . وزعم أن الوحي يأتيه تارة على لسان جبرائيل وتارة على لسان ميكائيل وزعم أنه أنزل عليه قرآن يختص به [2] ، فقبض عليه وحبس بالمارستان مع المجانين ثم زاره الأمير بركة وتكلم معه وضربه بالمقارع فأقر أطبائه بأن في عقله خللا ، فأقام بالمارساتان فترة طويلة ثم أطلق[3].

وظهر ادعاء النبوة أيضا عند عرب الصعيد ففي جمادى الأولى عام 824هـ/ 1421م ادعى شخص يقال له عزام النبوة "وزعم أنه رأى فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ في اليقظة فأخبرته عن أبيها أنه سيبعث بعده" فأتبعه بعض الناس وأطاعوه . فتصدى لدعوته نجم عبد الرحمن بن عبد الوارث البكري ، وتمكن من القبض عليه وعزره بالضرب والإهانة فرجع عن دعواه وتاب[4].

ثانيا : الزندقة في بلاد الشام :

زندقة بعض الفقهاء :

وكما ظهرت الزندقة من بعض فقهاء مصر ظهرت أيضا من بعض فقهاء الشام ، وكان منهم الفخر بن البديع البندهي الذي "كان يتعاطى

---

(1) ابن حجر : انباء الغمر ، ج1 ، ص306 .

(2) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج1 ، قسم 2 ، ص249 .

(3) ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج3 ، ص10 .

(4) ابن حجر : المصدر السابق ، ج7 ، ص415 .

وانظر ترجمة البكري في الضوء اللامع للسخاوي ، ج 4 ، ص90 .

الفلسفة والنظر في علوم الأوائل ويسكن مدارس فقهاء المسلمين ، وقد أفسد عقائد جماعة من الشباب المشتغلين" وكان يجاهر بالحط من الأنبياء عليهم السلام ، مات عام 657هـ/1259م[1] .

وهناك العز الضرير الأربلي المتوفى أواخر ربيع الآخر من عام 660هـ/1262م درس كثير من علوم الأوائل لكنه كان قليل الدين مع ذكاء وفصاحة[2] ، ونسب إليه انحلال العقيدة ، وترك الصلوات والزندقة[3] .

أما إبراهيم بن الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام السلمي الدمشقي خطيب جامع العقيبة فكان يبكي في الخطبة "ويتكلم بكلام مسجوع مثل سجع الكهان ويزعم أنه يلقى إليه من الجن" توفي عام 686هـ/1287م[4] .

ومن الذين رموا بالانحلال والزندقة نجم الدين أبي بكر بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، مهر في الفرائض وأجاز له سبط السلفي وولي القضاء ببعض مدن الشام[5] ، ثم إنه ادعى بدمشق أنه حكيم الزمان وأنه يوحى إليه إلى غير ذلك ، فعقد له مجلس في عام 704هـ/ 1304م بحضور النائب

---

(1) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، نشر عزت العطار ، القاهرة ، 1974م ، ص202 ، ابن كثير : البداية ، ج9 ، ص157 ، العيني : عقد الجمان ، ج 1 ، ص ص227 ، 228 .

يلاحظ أن جزء كبيرا من بلاد الشام كان تحت سيطرة الأيوبيين في تلك الفترة .

(2) أبو شامة : المصدر السابق ، ص216 ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج14 ، ص930 .

(3) ابن كثير : البداية ، ج9 ، ص176 ، ابن تغري بردي : النجوم ، ج7 ، ص207 .

(4) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، تحقيق قسطنطين زريق ، بيروت ، 1942م ، ج8 ، ص54.

(5) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج1 ، ص544 .

جمال الدين أقوش الأفرم، وطالبوه بالبرهان على صحة ما ادعاه ثم إنه استتيب وأطلق لكنه عاد إلى دعواه ، فعقد له مجلس آخر في عام 707هـ/1307م ثم استتيب وأطلق ، فكان في كل مرة يمسك ويستتاب يعود مرة أخرى إلى دعواه ، ثم سافر ابن خلكان إلى القاهرة لكنه استمر فيما كان عليه ببلاد الشام [1]، فكان يعمل الطلاسم والسحر [2] ، وكانت له عبارات قبيحة وادعاء نبوة وقامت ضده دعاو مبيحة للدم [3] . وظل هكذا حتى مات في ذي القعدة من عام 725هـ/1325م[4] .

وقال أحد فقهاء الباذرائية بخلق القرآن ، وأصر على القول بذلك أمام مجلس عقد له بالقصر الأبلق [5] بدمشق عام 706هـ/ 1306م ، وحضره القضاة والعلماء فاختلفوا في تكفيره وانتهى الأمر بتعزيره فضرب وجرس [6] وحبس ثم وقف أمام مجلس قاضي القضاة نجم الدين بن صصري وأظهر التوبة والتبرؤ مما قال فأطلق سراحه[7] .

---

(1) العيني : عقد الجمان ، ج4 ، ص356 ، 462 .

(2) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج1 ، ص544 .

(3) الذهبي : شذرات الذهب ، ج6 ، ص14 .

(4) ابن حجر : المصدر السابق ، ج1 ، ص544 .

(5) القصر الأبلق : بناه السلطان الظاهر بيبرس غربي دمشق بين الميادين الخضر .

انظر : العيني : عقد الجمان ، ج 2 ، ص174 .

(6)التجريس : هو أن يشهر المذنب في طرقات المدينة ، ويضرب الجرس على رأسه ليجمع الناس حوله ، ثم يضرب أو يوسط علنا في نهاية المطاف .

انظر : سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص 407 .

(7) العيني : المصدر السابق ، ج 4 ، ص430 ، البرزالي : المصدر السابق ، ج 2 ، قسم 1 ، ص345 0

ولعل تكرار حوادث الزندقة دون إراقة دم الزنديق قد شجعت ناصر ابن أبي الفضل بن إسماعيل بن الهيتي المقري الصالحي على الاستهتار بالدين وإظهار الكفر وكان المذكور في أول أمره "قد حفظ التنبيه وكان يقرأ في الختم بصوت حسن وعنده نباهه وفهم وكان منزلا في المدارس والترب" [1] .

وصاحب ناصر الأكابر وانتفع منهم مثل تاج الدين الشيرازي الذي أحبه حبا شديدا [2] إلا أنه اجتمع بمحلولي العقيدة من الزنادقة مثل : ابن المعمار البغدادي ، والباجربقي ، والنجم بن خلكان ، "وكل فيهم انحلال وزندقة مشهور بها بين الناس" ولعل المذكور زاد عليهم "بالكفر والتلاعب بدين الإسلام والاستهانة بالنبوة والقرآن" [3] . وكان كثير المزاح والمجون متهتك في أمره فشهد عليه بانحلال عقيدته ، فهرب إلى بلاد الروم ثم عاد إلى حلب في أواخر عام 725هـ/1325م واجتمع بقاضي القضاة كمال الدين ابن الزملكاني الشافعي (ت 727هـ/ 1326م) فأكرمه واستتابه وحقن دمه وبقى على ذلك لفترة ، ثم سرعان ما عاد إلى ما كان عليه من الزندقة فسيره إلى دمشق وثبت عليه ما تلفظ به فحكم بضرب عنقه [4] ، فضربت في يوم الثلاثاء 21 ربيع الأول من عام 726هـ/ 1326م "وكان قتله عز للإسلام وذلا للزنادقة وأهل البدع" .

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج9 ، ص393 .

(2) الجزري : تاريخ حوادث الزمان ، ج2 ، ص106 .

(3) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 9 ، ص393 ، الذهبي : شذرات الذهب ، ج 6 ، ص74 .

(4) النويري : نهاية الأرب ، ج 33 ، ص212 ، الذهبي : المصدر السابق ، ج 6 ، ص ص74 ، 75 .

وذكر ابن كثير أنه شاهد بنفسه هذا اليوم مع شيخ الإسلام ابن تيمية الذي "أتاه وقرعه على ما كان يصدر منه قبل قتله"[1] .

وجاء في ترجمة الشيخ علي بن أبي المجد بن شرف بن أحمد بن الحمصي ثم الدمشقي مؤذن الربوة المتوفى عام 736هـ/1335م أن له "ديوان شعر وتعاليق وأشياء كثيرة مما ينكر أمرها" وأنه كان "محلولا في دينه" فاسد الاعتقاد[2] .

أما النور الخرساني الذي كان يقرأ القرآن في جامع تنكز ، ويعلم الناس أشياء من فرائض الوضوء والصلاة وغيرها من أمور الدين ، فقد ادعي عليه "بأنه تكلم في بعض الأئمة الأربعة وأنه تكلم في شئ من العقائد ويطلق عبارات زائدة على ما ورد به الحديث" وقامت الشهادة عليه بأمور عديدة ، فعذر في يوم الاثنين 12 ربيع الأول من عام 747هـ/ 1346م ، وطيف به في البلد وسجن حتى شفع فيه الأمير أحمد بن مهنا ملك العرب عند نائب السلطنة فاستدعاه وعفى عنه وأطلقه[3] .

وظهر في ربيع الأول من عام 816هـ/1413م ، رجل يدعى عثمان بن أحمد بن عثمان بن محمود بن محمد بن علي بن فضل بن ربيعة

---

(1) ابن كثير : المصدر السابق ، ج5 ، ص393 ، النويري : المصدر السابق ، ج 33 ، ص212 ، ابن حبيب: تذكرة النبيه ، ج2 ، ص ص160 ، 161 .

(2) ابن كثير : المصدر السابق ، ج9 ، ص439 .

(3) نفسه ، ج9 ، ص ص478 ، 479 .

يبدو أن بعض وعاظ ذلك العصر لم تكن لهم دراية كافية بالعلوم الدينية مما أوقعهم في الأخطاء .

ويعرف بابن ثقالة وهو من فقهاء دمشق قدم عجلون وادعى أنه السفياني ونزل بقرية الجيدور[1] .

ودعا لنفسه وقال "أنا السلطان الملك الأعظم السفياني" فتبعه خلق كثير من عرب وترك وعشير[2] .

ونادى بأن مغل هذه السنة مسامحة فلا يؤخذ من الناس شئ وفيما بعد ذلك يؤخذ منهم العشر فقط فكان ذلك سببا في بزوغ نجمه بين الناس ، وبث كتبه إلى النواحي جاء فيها "إلى حضرة فلان أن يجمع فرسان هذه الدولة السلطانية الملكية الإمامية الأعظمية الربانية ، المحمدية، السفيانية ويحضر بخيله ورجاله مهاجرا إلى الله ورسوله ومقاتلا في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا"[3] .

أعلن السفياني أن حكم الأتراك قد بطل ولم يبق إلا حكم أولاد الناس[4] ، فخرج إليه غانم الغزاوي بطائفته وقاتلوه وقبضوا عليه وعلى ثلاثة

---

(1) الجيدور : بالفتح ثم السكون وضم الدال كورة من نواحي دمشق فيها قرى وهي في شمال حوران ويقال إنها والجولان كورة واحدة ، البغدادي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص365 .

(2) المقريزي : السلوك ، ج4 ، قسم 1 ، ص262 .

(3) ابن حجر : انباء الغمر ، ج7 ، ص106 ، 107 ، الذهبي : شذرات الذهب ، ج7 ، ص115.

(4) أولاد الناس : أطلق على فرقة عسكرية من فرق الجيش المملوكي مؤلفة من أبناء أمراء المماليك وكان يتم تربيتهم تربية خاصة ومنهم على سبيل المثال : ابن تغري بردي المؤرخ المشهور .

انظر زين الدين شمس الدين نجم : معجم المصطلحات التاريخية ، ص 97 .

من أصحابه واعتقلوهم بقلعة عجلون وكتب إلى السلطان بذلك فنقله إلى قلعة صفد[1] .

(1) المقريزي : السلوك ، ج4 ، قسم 1 ، ص263 .

زندقة بعض موظفي الدولة :

اعتنق فكر الزنادقة في بلاد الشام بعض موظفي الدولة ، ففي عام 704هـ/1305م ضربت عنق الكمال الأحدب رئيس قرية جديا إحدى قرى غوطة دمشق و ذلك لأنه أتى إلى قاضي القضاة جمال الدين المالكي يستفتيه في أمر دون أن يعلم أنه القاضي وأنه مالكي المذهب فسأله ما يقول في إنسان تخاصم مع آخر وقال للخصم : "تكذب ولو كنت رسول الله فقال : من قال هذا؟ قال أنا" فأشهد عليه الحاضرين – وكان ذلك يوم الإثنين 4 من رمضان – واعتقله وفي اليوم التالي أحضروه إلى دار العدل وحكم بقتله بحضور القضاه ونائب السلطنة فأخذ المذكور وضربت عنقه في سوق الخيل ثم غسل بعد ذلك وكفن ودفن "وكان هو الداعي بنفسه إلى إتلاف روحه" [1] .

ومن رجال الدولة الذين قتلوا على الزندقة في عام 755هـ.1354م الكريم عبد الله القبطي ناظر جيش [2] طرابلس وكان مسلمانيا "تكرر منه

---

(1) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ج2 ، ص816 .

قال أبو مصعب وابن أبي أويس : سمعنا مالكا يقول : من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل ، مسلما كان أو كافرا ولا يستتاب وكذلك قال محمد بن عبد الحكم أخبرنا أصحاب مالك أنه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيين ، من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب .

انظر : ابن تيمية : الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ج 3 ، ص572-573 .

(2) ناظر الجيش : هو الذي يتحدث في أمور الجيش وضبطها ، وكذلك أموال الجيش وحساباتها .

انظر : زين الدين شمس الدين نجم ، معجم الألفاظ ، ص522 .

ألفاظ مؤدية إلى الانحلال والتلاعب بدين الإسلام" [1] فحكم القاضي شهاب الدين ابن البارزي الشافعي بكفره وقتله فقتل وأحرق .

وشهدت حلب في عام 787هـ/1385م مقتل أبي بكر ابن الركن كبير المكاسين[2] وضامن الجهات السلطانية بالدولة ، وكان رجل ثري وحدث أن طالب رجل بمال على وجه الظلم فاستشفع برسول ﷺ فأجابه المكاس "لو جاء ما قبلت شفاعته" ، فثارت عليه العامة وقام أحدهم "فقور رقبته بسكين" ثم أحرقوه بأيديهم غضبا لما صدر منه في حق الرسولﷺ ولبغضهم له لظلمه .... ثم احتاط النائب على حواصله[3] .

وحكم القاضي المالكي ابن الأذرعي بكفر نائب طرابلس آياس [4]

---

(1) ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج2 ، ص61 .

(2) المكس : وجمعه مكوس وهي ما تحصل من الأموال لديوان السلطان أو لأصحاب الإقطاعات أو لموظفي الدولة خارجا عن الخراج الشرعي .

انظر : سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص 459 . والمكاس هو الذي يحصل المكوس .

(3) نفسه : ج3 ، ص ص159 ، 160 . هذه القضية عجيبة فمنذ متى تقوم العامة بإصدار الأحكام بدلا من القضاة ثم كيف يقتلونه بدون محاكمة ودفاع منه عن نفسه وأعتقد أن السبب وراء قتله هو غضب العامة منه لظلمه وجشعه وليس غضبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . أما النائب فلم يهتم إلا بالاحتياط على حواصله .

(4) اياس الجركسي : الأمير فخر الدين الجرجاوي تنقلت به الأحوال إلى أن صار أحد أمراء العشرات بمصر ، ثم نقل إلى طبلخانة بدمشق ، ثم أعطي تقدمة ألف ثم تولى نيابة صفد ، ثم تولى نيابة طرابلس فسار فيها أقبح سيرة منها أخذه مياه الناس لزرعه وطرحه القند والسكر على الناس ، وتقديمه الفرنج على المسلمين وأخذ أموال الناس واستعمالهم بغير أجرة ، فلما علم السلطان بحاله صادره واستخلص منه الأموال .

توفي في صفر عام 799هـ .

انظر : ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج 3 ، ص ص630-631 .

وكان متجرئا على الشرع متهما في دينه يعظم النصارى ويقرب الفرنج ويرفعهم على المسلمين ، ويقال إنه "جمع بين سبع نسوة وله أخبار تدل على انسلاخه من الدين"[1]. إلا أنه عندما عرضت القضية على القاضي الشافعي ابن المعري حكم بإسلامه ، وكان ذلك في عام 794هـ/1391م[2] ، ويبدو أن القاضي المالكي لم يقتنع بذلك فاحتد على النائب في عام 798هـ/ 1395م وشتمه وكفره وتوعده بإثبات كفره عند القضاه وبضرب عنقه[3] .

أما محمد بن عمر بن محمد بن إسماعيل بن السبكي الذي كان نائبا للحسبة لفترة طويلة، فقد كانت له سقطات تعد كفرا وتساهلا في أمور الشرع ، وقد وصف بأنه كان ظريفا أديبا "له نوادر وتندسات ظريفة مع تساهل في أمر دينه لا يبالي بما يقول ولا يتحاشى عن معاشرة أحد ونوادره فيها أشياء تكاد أن تكون كفرا" . توفي عام 794هـ/1391م[4] .

وقتل في دمشق محمد بن محمد بن علي بن إبراهيم أبو الفتح الطيبي القاهري الشافعي عام 854هـ/1450م وكان الطيبي أحد أصدقاء أبي الخير النحاس [5]، فترقى حاله حتى تولى نظر الجوالي بدمشق إلا أنه لم يكن حسن السيرة فظلم وعسف وكتب في كفره محاضر عديدة . وشكى الشيخ شمس الدين البلاطنسي الدمشقي للسلطان الظاهر جقمق (842-857هـ/ 1438-1453م) ما يفعله الطيبي وذكر له عظائم وأمور قبيحة

(1) نفسه ، ج3 ، ص631 .
(2) نفسه ، ص426 .
(3) نفسه ، ص574-575 .
(4) ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج3 ، ص453 .
(5) سيأتي الحديث عنه مفصلا .

منها أنه ضرب شخصا ضربا مؤلما مع توسله بإبراهيم عليه السلام وقال له كلاما فاحشا فلما سمع بذلك السلطان غضب وأمر بالتحقيق فيما نسب إليه .

وأقيمت الدعوى عليه عند القاضي المالكي الذي حكم بضرب عنق الطيبي [1] ، تحت قلعة دمشق ، وكانت جنازته حافلة وبكاه العوام والفقراء ووصفوه بالشهيد والمظلوم والمقهور وحالوا بين السياف وبينه أياما حتى أخذ على غفلة منهم واتهم البلاطنسي بالتعصب ضده حتى أفتي بكفره[2] .

زندقة بعض العامة :

سار كثيرون من العامة في الشام في تيار الزندقة ، فشهدت دمشق في 3 شوال من عام 715هـ/1315م ضرب رقبة أحمد الرويسي الأقباعي وكان قد شهد عليه في شهر رمضان – من نفس العام – بارتكاب أمور عظيمة "من ترك الواجبات واستحلال المحرمات والتهاون بالشريعة والغض من منصب النبوة"[3] .

وكان له كشف وأخبار عن المغيبات فأضل كثير من الجهلة ، وكان يقول أتاني النبي ﷺ وحدثني وكان يأكل الحشيشة ويترك الصلاة[4] .

فلما عرض الأمر على القاضي المالكي وثبت عنده ذلك حكم بإراقة دمه وإن أسلم وذلك بعد أن "أعذر إليه فلم يأت بدافع عن نفسه" . وكتب

---

(1) السخاوي : التبر المسبوك في ذيل السلوك ، تحقيق د. لبيبة إبراهيم مصطفى ، دار الكتب والوثائق ، 2002–2007م ، ج1 ، ص ص15 ، 16 .

(2) السخاوي : الضوء اللامع ، ج 9 ، ص141 ، ترجمة رقم 357 ، السخاوي : التبر المسبوك ، ج3 ، ص ص80،81 ، وانظر أيضا : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج15 ، ص429.

لم توضح الرواية حقيقة الطيبي هل ارتكب حقا حماقات أوصلته إلى الكفر أم أن التعصب والحقد أثار البلاطنسي ضده .

(3) النويري : نهاية الأرب ، ج32 ، ص226 ، البرزالي : المصدر السابق ، ج 2 ، قسم 2 ، ص203 ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج9 ، بيروت ، 2006م ، ص349 .

(4) الذهبي : شذرات الذهب ، ج6 ، ص35 .

بذلك محضرا إلى نائب السلطنة لتنفيذ حكم الشرع فيه فأخرج إلى ظاهر البلد وضربت عنقه[1] .

وقتل أيضا في دمشق قيماز بن الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم الهمداني عام 721هـ/ 1321م ، وذلك لقذفه أمهات المؤمنين عائشة وغيرها رضي الله عنهن . ثم بعد ذلك قتل ابنه أيضا لتكرار ما فعله أبوه فقذف أيضا أمهات المؤمنين عائشة وغيرها رضي الله عنهن[2] .

وقتل على الزندقة بحماه عدو الله الحموي الحجار وأحرق في عام 737هـ/1336م بعد أن أضل جماعة من الناس[3] .

وعقد مجلس لابن حريص في عام 741هـ/1340م كبير الكرك إلا أنه كان مشهورا بالرفض فشهدوا عليه بأنه سب الصحابة وتنقصهم بما يوجب الزندقة فسجن وامتنع المالكي عن أمره ثم حكم فيه القاضي الحنبلي بالقتل فضربت رقبته تحت القلعة بحضور النائب والقضاة بعد أن شهد بالشهادتين وترضى عن الشيخين[4] .

وشهدت دمشق في عام 744هـ/1343م حادثين لإثنين من الزنادقة كان أولهما قتل إبراهيم بن يوسف المقصاتي الزنديق بدمشق لسبه الصحابة ووقوعه في حق جبريل عليه السلام[5] .

---

(1) النويري : المصدر السابق ، البرزالي : المصدر السابق .

(2) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج9 ، ص101 ، 374 .

(3) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج9 ، ص195 ، الذهبي : شذرات الذهب ، ج 6 ، ص114 .

(4) ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج3 ، ص10 .

والمقصود بالشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

(5) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج3 ، ص49 .

ثم ضربت رقبة الضال الملحد حسن بن الشيخ أبي بكر بن القاسم الهمداني الأصل الدمشقي السكاكيني "على الرفض المؤدي إلى الزندقة" ، بعد أن ثبتت عليه أمور منها أنه كفر الشيخين رضي الله عنهما وقذف بنتيهما عائشة وحفصة رضي الله عنهما ، ومنها أنه ذكر أن جبريل أخطأ فأوحى إلى محمد ، وإنما كان مرسلا إلى علي ، إلى غير ذلك من الأمور القبيحة وكان قتله بسوق الخيل[1] .

وفي عام 749هـ/1348م قتل بحلب زنديقان أعجميان كانا مقيمان بدلوك[2] .

ثم قتل بدمشق في عام 755هـ/1354م شخص من الحلة بسبب الرفض والسب القبيح، وبعد قتله أحرق[3] .

وشهد عام 761هـ/1360م العديد من حوادث الزندقة . ففي شهر رمضان قتل بدمشق جماعة ثبت عليهم سب الرسول ﷺ إلى جانب كثير من أنواع الكفر [4] . وكان أولهم مرزوق الصفدي النصيري الذي قتل على الزندقة والتعرض للنبي ﷺ[5] .

ثم ضربت عنق عثمان بن محمد المعروف بابن دبادب الدقاق بالحديد في السادس عشر من نفس الشهر ، وقد شهد عليه جماعة أنه كان

---

(1) ابن كثير : المصدر السابق ، ج9 ، ص472 ، ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج1 ، ص358 .
(2) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، القاهرة ، ذخائر العرب ، عدد 69 ، ج4 ، ص176 .
ولم يذكر أبو الفدا ما فعلاه من أمور ضد العقيدة الإسلامية .
(3) ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ج2 ، ص60 .
(4) نفسه ، ج2 ، ص163 .
(5) الذهبي : العبر ، ج6 ، ص334 .

يكثر من سب الرسول ﷺ وادعى عليه عند المالكي فادعى الجنون لينجو بنفسه إلا أن هذا لم يفده وضربت عنقه[1] .

وفي السادس والعشرين من رمضان قتل محمد المدعو زبالة لسبه الرسول ﷺ ولدعواه أشياء كفرية ، كما صدرت منه أمور قبيحة في حق أبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم ، وذلك بالرغم من إكثاره من الصلاة ، ولهذا ضربت عنقه في سوق الخيل[2].

وفي أواخر شهر شوال من نفس العام قبض على رجل يدعى حسن كان يعمل خياطا بمحلة الشاغور ، وكان ينتصر لفرعون ويزعم أنه مات على الإسلام ويحتج بأنه في سورة يونس حين أدركه الغرق قال ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[3] ولم يفهم معنى قوله ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[4] ولا معنى قوله ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴾[5] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على كفر فرعون [6] .

كما قتل شخص بدمشق على الرفض وسب الصحابة في عام 766هـ/1364م[7] .

أما الأديب والشاعر أحمد بن محمود بن إسماعيل بن إبراهيم بن صدقة الحلبي ، فكان ماهرا في النظم والنثر والكتابة إلا أنه كان مولعا

---

(1) ابن كثير : المصدر السابق ، ج9 ، ص530 .

(2) ابن كثير : البداية ، ج9 ، ص530 .

(3) سورة يونس : آية 90 .

(4) سورة يونس : آية 91 .

(5) سورة المزمل : آية 16 .

(6) ابن كثير : المصدر السابق ، ج9 ، ص531 .

(7) ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج2 ، ص261 .

بالفسق وشرب الخمر وسلب أعراض الناس وضبطت عليه ألفاظ موبقة تقتضي زندقته فرفع بأمره في عام 767هـ/1365م للقاضي المالكي صدر الدين أحمد بن عبد الظاهر الدميري قاضي قضاة حلب (ت 769هـ/1367م) فحبسه [1] ، فكتب من محبسه قصيدة إلى القاضي تاج الدين السبكي (ت771هـ/1369م) يسأله فيها حقن دمه جاء فيها :

ولكن سآوي عند طوفان غدرهم إلى جبل الآلاء تاج العلى السبكي

فلما بلغته القصيدة هم بحقن دمه [2] ، إلا أن أبي المعالي ابن عشائر الحلبي العالم والأديب (ت 789هـ/1387م) أقنعه بعدم التراجع عن قتله "لسوء سيرته وما يقع منه من الكفريات" .

وكان القاضي الدميري المالكي قد حكم بضرب عنقه بعد قيام البينة عليه بالزندقة ، فقتل عام 772هـ/1370م تحت قلعة حلب بحضرة الأمير جرحي الناصري الإدريسي ، وفيه يقول بعضهم :

مضى مستبيح الربا والزنا إلى خازن المهلك الحالك

وفاز الدميري بتدميره فمن مالكي إلى مالك [3]

---

(1) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج 2 ، ص95 ، ابن حجر : الدرر ، بيروت ، 1993 ، ج1 ، ص315 ، ترجمة رقم 794 .

(2) هذا ليس مبررا لحقن دم زنديق ثبتت عليه تهمة الزندقة ولابد يكون المرجع في الأحكام لكل الحالات واحد وليس حسب أهواء القضاة .

(3) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج 4 ، ص96 ، ابن حجر : المصدر السابق ، ج1 ، ص315 ، 316 .

وثارت العامة في دمشق في عام 776هـ/ 1374م على محمد المعروف بالمقارعي ، وهو رجل عامي ينظم الشعر ويدعي المعرفة في بعض العلوم . وكان يجتمع مع العوام في أماكن النزهات ويتكلم بكلام قبيح فضبطوا عليه أشياء فيها كفر وزندقة وادعوا عليه عند القاضي صدر الدين بن العز قاضي الحنفية بدمشق ، كما ثارت عليه جماعة من عامة الحنابلة وكتب فيه محضرا يتضمن أشياء منكرة من الاتحاد والطعن في القرآن والشريعة وإنكار البعث والنشور فضلا عن الفسق . وأجمع الفقهاء على قتله وعدم قبول توبته ، فسعى المقارعي إلى نقل الدعوى إلى القاضي الشافعي فلما نجح في ذلك احتج لدى القاضي بأنه أشعري [1] وخصومه حنابلة متعصبون ضده فدفع خصومه بكتابه المسمى "بالمشارع" للقاضي وذكروا أن به زندقة فلما قرأه القاضي رد بأنه لم يجد فيه شيئا ثم أعاد المقارعي للسجن فظل به إلى آخر العام ثم أطلقه بعد أن حكم بإسلامه وحقن دمه[2] .

وقتل محمد بن مكي الرافضي تحت قلعة دمشق في عام 781هـ/ 1379م[3] ، وذلك بسبب ما شهد به عليه من الانحلال واعتقاد مذهب النصيرية [4] واستحلال الخمر وغير ذلك من القبائح" [5] . وأثبت في

---

(1) الأشاعرة : فرقة كلامية إسلامية تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة . وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية وسيلة في محاججة خصومها من المعتزلة والفلاسفة.

انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان ، ج 1 ، ص87 .

(2) ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج 2 ، ص448 ، ابن حجر : انباء الغمر ، ج1 ، ص99.

(3) المقريزي : السلوك ، ج3 ، قسم 1 ، ص374 .

(4) سيأتي الحديث عنها مفصلا عند تناول الطوائف المنحرفة .

(5) ابن حجر : انباء الغمر ، ج1 ، ص311 .

حقه محضرا عند قاضي بيروت "يتضمن رفضه وإطلاقه في عائشة وأبيها وعمر – رضي الله عنهم – عبارات منكرة بل مكفرة على ما أفتى به جماعة من الشافعية والحنفية وغيرهم" . فأنكر محمد بن مكي ذلك ثم استدرجوه فاعترف ظنا منه أن ذلك ينفعه ، فأفتوا بزندقته وحكم القاضي المالكي بكفره وإراقة دمه وإن تاب ، فأخرج إلى تحت القلعة وضربت عنقه[1] .

كما ضربت عنق رفيقه عرفة بطرابلس وكان على نفس اعتقاده[2] .

ونسب إلى رجل من بعلبك ألفاظ كفر صريح ، فحبس بحبس الدم بدمشق ثم أحضره كاتب السر وضربه بالسياط وأشهره ، ثم حبسه مرة أخرى حتى عقد له مجلسا فوقع الخلاف بين القضاة فيه وانتهى أمره بأن أطلق سبيله بعد أن حكم بإسلامه ، وكان ذلك في ربيع الآخر عام 887هـ/1482م[3] .

زندقة بعض المماليك :

كان أحد المماليك ويدعى ابن البجاص من صفد مشهورا بالفساد وتعاطي أنواع المنكرات مع بذاءة لسان وثبوت إنكاره قول القائل إن الأمر لله من قبل ومن بعد ، فاستدعاه قاضي صفد الحنفي إلى دمشق وعقد له مجلسا في عام 787هـ/1385م إلا أن اختلافا وقع بين القاضي من ناحية والقرشي

---

(1) ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ج3 ، ص ص134 ، 135 .
وذكر هذه الحادثة ضمن حوادث عام 786هـ خلافا للمقريزي وابن حجر وانظر كذلك الصيرفي : نزهة النفوس ، ج1 ، ص88 ، وابن إياس : بدائع الزهور ، ج1 ، قسم 2 ، ص342 ، وقد ذكر الحادثة ضمن حوادث عام 785هـ/1383م .

(2) ابن حجر : المصدر السابق ، ج1 ، ص311 .

(3) ابن طولون : مفاكهة الخلان ، ج1 ، ص48 .

وابن الحسباني من ناحية أخرى فأفتيا البجاص بما يرد حكم القاضي الحنفي[1] .

وذكر البصروي أن قانصوة اليحياوي كافل دمشق (ت902هـ/ 1496م) – وكان ظالما لا يعنيه إلا جمع الأموال – كلف شخصا من الزنادقة يدعى قايتباي بجمع الأموال له من مستحقي جامع بني أمية وسمح له بالإقامة في الجامع ، ووافقه المباشرون على ذلك[2] .

ادعاء النبوة :

مثلما كان الحال في مصر ظهر في بلاد الشام أيضا من ادعى النبوة ، ففي عام 717هـ1317م خرج رجل من أهل قرية قرطياس من أعمال جبلة زعم أنه محمد بن الحسن المهدي وأنه بينما كان يحرث الأرض أتاه طائر أبيض فنقب جنبه وأخرج روحه وأدخل في جسده روح محمد بن الحسن[3] .

وادعى الرجل في أول الأمر أنه محمد المصطفى ﷺ ثم ادعى أنه علي ثم عاد وادعى أنه المهدي المنتظر [4] . وزعم أن الناس كفرة وأن دين النصيرية هو الحق وأن الملائكة تنصره ، فالتف حوله جماعة من النصيرية

---

(1) ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج3 ، ص181 .

وفي عام 788هـ عاقب السلطان ابن بجاص بضربه وقطع لسانه لثبوت تآمره على قتله .

(2) تاريخ البصروي ، ج1 ، ص218 ، 219 .

(3) المقريزي : السلوك ، ج2 ، قسم 1 ، ص174 .

(4) اليافعي : مرآة الجنان ، ج4 ، ص256 ، البرزالي : المصدر السابق ، ج 2 ، قسم 2 ، ص298 .

القائلين بألوهية علي بن أبي طالب [1] ويقدر عددهم بنحو خمسة آلاف ، وأمرهم بالسجود له ، وأباح لهم الخمر ، وترك الصلوات [2] ، وأعلن أن لا إله إلا علي ولا حجاب إلا محمد ولا باب إلا سلمان ، ولعنوا الشيخين وقد عاثوا فسادا في السواحل واستباحوا جبلة فقتلوا وسبوا [3] . أرسل إليهم نائب طرابلس الأمير شهاب الدين قرطاي الأمير بدر الدين بيليك العثماني على ألف فارس فقاتلهم حتى قتل مدعي النبوة وعدد كثير من أعوانه[4].

وظهر بحلب في عام 753هـ/ 1352م رجل خياط يعرف بوضاح الخياط الحلبي[5] ، ادعى النبوة وزعم "أنه رأى بين النوم واليقظة من قال له

---

(1) المقريزي : المصدر السابق ، ج 2 ، قسم 1 ، ص174 ، اليافعي : المصدر السابق ، ص257، الذهبي: شذرات الذهب ، ج6 ، ص43 .

(2) المقريزي : السلوك ، ج 2 ، قسم 1 ، ص174 ، النويري : نهاية الأرب ، ج 32 ، ص277 ، ذكر أبو الفدا أن عددهم كان ثلاثة آلاف . انظر المختصر ، ج 4 ، ص98 .

(3) اليافعي : مرآة الجنان ، ج4 ، ص ص256 ، 257 ، الذهبي : شذرات الذهب ، ج6 ، ص43 ، البرزالي ، المصدر السابق ، ج2 ، قسم 2 ، ص298 .

(4) المقريزي : المصدر السابق ، ج2 ، قسم 1 ، ص175 .

سوف نتناول هذا الموضوع عند الحديث عن النصيرية .

جاء في حاشية كتاب السلوك أن أسباب تلك الحادثة تعود إلى روك نيابة طرابلس الواقعة بها جبلة وغيرها من بلاد النصيرية فقد ترتب عليه توزيع جديد للإقطاعات وتعديل في الضرائب والمكوس مما أدى إلى كثير من القلق والسخط بين الناس فلعل هذه الحادثة تعبيرا عن الاعتراض على الروك الناصري . انظر نفسه حاشية 1.

(5) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج4 ، ص407 .

قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا" [1]، فسجن أياما وهو مصر على دعواه حتى استتيب فتاب وأسلم فعذر وحقن دمه[2] .

وادعى الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد الفرياني المغربي أنه المهدي المنتظر وكان قد رحل إلى جبال حميدة بالأرض المقدسة في عام 848هـ/ 1444م[3]، فلقت دعوته قبولا "فانضم إليه جماعة من العرب فاستغواهم ووعدهم وملأ آذانهم بالمواعيد فشاع خبره"[4] .

انتدب نائب القدس للتحقق من أمره وكان الفرياني قد قدم إلى مصر قبل ذلك وتجول في قرى الريف الأدنى وقابل الناس وذكرهم وكان يستحضر كثيرا من التاريخ والأخبار الماضية ويدعي معرفة الحديث النبوي ورجاله ويبالغ في ذلك لمن يجهله ثم تحول عن مذهب مالك وادعى أنه يقلد الشافعي ، فلما ظهر منه ذلك طلب من نائب القدس بأن يرسل إليه من يقبض عليه ويرسله إلى القاهرة[5] .

ثم انتقل الأمر إلى المماليك فادعى بعضهم أيضا النبوة ، ففي عام 720هـ/1320م ادعى رجل بدمشق يدعى سيف الدين أقجبا الرومي – من مماليك الأمير ركن الدين بيبرس التاجي – أنه نبي وتسمى عبد الله وكان قبل ذلك كثير الملازمة للجامع بدمشق ويكثر من تلاوة القرآن [6] . وأصر

---

(1) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج3 ، ص166 .

(2) ابن حبيب : نفسه ، ابن حجر : المصدر السابق ، ج4 ، ص407 .

(3) الذهبي : شذرات الذهب ، ج7 ، ص261 .

(4) ابن حجر : انباء الغمر ، ج9 ، ص227 .

(5) ابن حجر : انباء الغمر ، ج 9 ، ص ص227 ، 228 ، الذهبي : شذرات الذهب ، ج7 ، ص ص261 ، 262 .

(6) النويري : نهاية الأرب ، ج32 ، ص323 ، البرزالي : المصدر السابق ، ج 2 ، قسم 2 ، ص420 .

الرجل على دعواه واستتيب فلم يرجع وخوف بالقتل فلم يفد ذلك وأصر حتى أن ولاة الأمر عرضوا عليه قضاء حاجته حتى يرجع عن ادعائه النبوة فأبى قبول ذلك [1] . فضربت عنقه في يوم الإثنين 25 من شهر ربيع الأول بظاهر دمشق[2] .

---

(1) النويري : نهاية الأرب ، ج32 ، ص323 ، البرزالي : المصدر السابق ، ج 2 ، قسم 2 ، ص420 .

(2) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 9 ، ص369 ، المقريزي : المصدر السابق ، ج 2 ، قسم 1 ، ص213.

ثالثا : غلاة الصوفية في مصر والشام[1] :

وهم القائلون بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود [2] . وهذه الفرق غدت هي الأخرى مرتعا للزنادقة الذين تظاهروا بالزهد والتقشف ونشروا الكفر والإلحاد[3] ، كما يقول بعضهم عن نفسه:

تجلى لي المحبوب في كل وجهة ... فشاهدته في كل معنى وصورة

وخاطبني مني بكشف سرائري ... فقال أتدري من أنا قلت منيتي

---

(1) اكتفينا بما ذكرناه فقط من أمثلة بقصد عدم الإطالة .

(2) الحلول : ويعني تجسد الخالق في المخلوق بحلوله في بعض بني الإنسان وامتزاجه به امتزاجا كاملا في الطبيعة والمشيئة بحيث تتلاشى الذات الإنسانية في الذات الإلهية وتتمحي الإثنينية والتغاير في وحدة غير منفصلة بين ذاتين كانتا متميزتين فصارتا متحدتين ومتجانستين وهو ما يعرف بالحلول السرياني .

انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، الرياض ، 1418هـ، ج2 ، ص1059-1060 .

الاتحاد : ويعني اتحاد الذات البشرية "الناسوت" مع الذات الإلهية "اللاهوت" انظر محمد صبري الدالي : أتباع ابن عربي وابن الفارض في مصر خلال العصر العثماني ، مقال بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، عدد 2006م ، ص302 .

وحدة الوجود : وتعني أن الوجود كله واحد وأن وجود المخلوقات هو عين وجود الخالق فكل شئ هو الله واختلاف الموجودات هو اختلاف في الصور والصفات مع توحد في الذات ولهذا كانت وحدة الوجود أعظم عقيدة في الكفر والفجور .

انظر البقاعي : تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ، ص 19-60 ، 66 ، الموسوعة الميسرة ، ج2 ، ص1178-1179 .

(3) يقول البقاعي : "وخواص أهل هذه النحلة يتسترون بإظهار شعائر الإسلام وإقامة الصلاة والصيام وتمويه الإلحاد بزي التنسك والتقشف وتزويق الزندقة بتسميتها : بعلم التصوف" . انظر تنبيه الغبي ، ص20 .

فأنت مناي بل أنا أنت دائما | إذا كنت أنت اليوم عين حقيقتي

فقال كذلك الأمر لكنه إذا | تعينت الأشياء كنت كنسختي [1]

وهكذا فتح التصوف المنحرف بابا واسعا دخلت منه كثير من المفاسد على المسلمين مثل التواكل والسلبية ، على أن أخطر ما وصلت إليه هذه العقيدة ، القول بوحدة الأديان وإسقاط التكاليف الشرعية ، كالصلاة والصوم ، وما يترتب عليها من تدمير المسئولية الفردية ، متأولين قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾[2] وإذا استدل أحد هؤلاء بآية قرآنية فإنه يفسر معناها بزندقته ، وإذا استشهد بحديث فلابد وأنه موضوع فهؤلاء يعيثون في عقائد المسلمين فسادا ، يقول أحدهم "لا تركن إلى الكتاب والسنة فليس فيهما إشارة من الحق ولا لمع من الهداية .... وتعالى إلي أعلمك علما دقيقا جليلا يهيمن على الهدى والحق!!" [3].

---

(1) انظر الشعراني : الطبقات الكبرى ، بيروت ، 1988 ، ج1 ، ص182 ، ترجمة رقم 286 .

(2) سورة المائدة : آية 93 .

انظر : الموسوعة الميسرة ، ج 2 ، ص965 ، 966 ، 1179 .

يقول الشعراني "سيدي شريف رضي الله عنه كان يأكل في نهار رمضان ويقول أنا معتوق وأعتقني ربي" . انظر الموسوعة الميسرة ، ص965 .

(3) البقاعي : تنبيه الغبي ، ص 115 ، 116 ، حاشية 3 ، وهذا الصوفي هو عمر بن الفارض سلطان العاشقين.

ومن أمثال هؤلاء "عم البلاء في الخلق" وما تبعه من انحلال عقائدي وزندقة [1] . ومن هؤلاء الشيخ يوسف القميني [2] وهو أحد متصوفي دمشق وللناس فيه اعتقاد كبير وكان هذا الرجل "يأوي إلى القمامين والمزابل التي هي مأوى الشياطين ويلبس ثيابا تكنس الأرض وتتنجس ببوله ويمشي حافيا مكشوف الرأس" توفي عام 657هـ/1259م[3] .

ويعقب الذهبي على ذلك بأن أمثال هؤلاء كانت لهم شياطين "تتكلم على ألسنتهم بالمغيبات فيضل الناس ويتألهونهم ويعتقدون أنهم أولياء الله" [4] .

ومنهم العفيف التلمساني : هو أحد هؤلاء الصوفيين الذين وفدوا على مصر ونزل بخانقاه "سعيد السعداء" [5]. وقد وصفه البقاعي بأنه "داعر من

---

(1) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج14 ، ص870 .

في حوار بين الشيخ الصوفي علي بن وفا والشيخ شمس الدين محمد بن الحنفي قال علي بن وفا "ما تقول في رجل رحي الوجود بيده يدورها كيف شاء . فقال له محمد بن الحنفي : فما تقول فيمن يضع يده عليها فيمنعها أن تدور؟" . انظر : الشعراني : المصدر السابق ، ج2 ، ص90 .

(2) عرف بالقميني لأنه كان يسكن قمين حمام نور الدين الشهيد . انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج13 ، ص217 .

(3) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج14 ، ص ص869 ، 870 .

(4) نفسه ، ج14 ، ص870 .

أما ابن كثير فيبرر اعتقاد العوام فيه "بأنهم لا يعلمون شرائط الولاية ولا الصلاح ولا يعلمون أن الكشوف قد تصدر من البر والفاجر والمؤمن والكافر ... فإن الجن تسترق السمع وتلقيه على أذن الإنس" . انظر : البداية والنهاية ، ج13 ، ص217 .

(5) الصفدي : الوافي بالوفيات ، فيسبادن ، 1974م ، ج3 ، ص130 .

سعيد السعداء : هو أحد الأستاذين المحنكين خدام القصر عتيق الخليفة المستنصر الفاطمي وهو الأستاذ قنبز ويقال عنبر ويقال بيان ولقبه سعيد السعداء ، قتل عام

زنادقة الصوفية لا يحرم فرجا ويبيح نكاح الأم والأخت ويرى القرآن كله شركا"[1] . وللتلمساني أشعار كثيرة تنعق بالاتحاد والزندقة[2] . ومنها قوله :

فلسوف تعلم أن سيرك لم يكن إلا إليك إذا بلغت المنزلا[3]

ونسبت للتلمساني "عظائم في الأقوال والاعتقاد في الحلول والاتحاد والزندقة والكفر المحض"[4] .

على أن أخطر هؤلاء كان محمد بن عبد الرحيم بن عمر الباجربقي [5] اصطحبه أبوه مع أخيه إلى دمشق بعد عام 680هـ/ 1281م وهناك سمعا من ابن البخاري وجلس والدهما للإفادة والإفتاء ودرس بالمدارس فلما مات في عام 669هـ/ 1299م تزهد محمد وصحب جماعة من أراذل القوم فهون لهم أمر الشرائع وكان له قوة تأثير فقصده جماعة من الفضلاء كان منهم الشيخ مجد الدين التونسي النحوي شيخ العربية (ت718هـ/1318م) فرأوا منه "بلايا منافية للشرع" فشهدوا عند القاضي جمال الدين الزواوي المالكي بما يبيح دمه من أمور الكفر والزندقة، منها تهاونه

544هـ . والخانقاه تقع بخط رحبة باب العيد من القاهرة وسكنها الوزراء في آخر العصر الفاطمي وفي العصر الأيوبي أوقفها صلاح الدين على فقراء الصوفية في عام 569هـ/1173م .

انظر : المقريزي : الخطط ، ج 2 ، ص415 .

(1) البقاعي : تنبيه الغبي ، ص167 ، الذهبي : شذرات الذهب ، ج5 ، ص412 .

(2) الصفدي : المصدر السابق ، ج3 ، ص130 .

(3) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج14 ، ص522 .

(4) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج13 ، ص326 .

(5) نسبة إلى بلدة باجربق شمال العراق بين البقعاء ونصيبين . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج1 ، ص453 .

بالصلوات وذكره الرسول ﷺ باسمه بدون تعظيم ولا صلاة عليه "حتى يقول ومن محمد هذا؟" إلى غير ذلك من الاستخفاف بالعقيدة [1] . فحكم القاضي جمال الدين الزواوي المالكي بإراقة دمه وإن تاب أو أسلم [2] ، وذلك بعد ثبوت محضر يتضمن كفره في الثاني من ذي القعدة من عام 704هـ/ 1304م[3] ، وبحضور جمع كبير من الفقهاء والعلماء وعامة المسلمين[4] .

خشى الباجربقي من عاقبة الأمر فهرب إلى بلاد الشرق في حين سعى أخوه لدى قاضي القضاة الحنبلي فحكم له بحقن دمه ومنع التعرض له بعد أن أثبت عداوة بينه وبين الشهود الستة الذين شهدوا عليه وكان ذلك في 17 من رمضان عام 706هـ/1306م[5] ، مما أثار غضب القاضي المالكي فجدد الحكم بقتله واستمر اختفاء الباجربقي فترة [6] حتى فر بعد ذلك إلى مصر وانقطع بالجامع الأزهر "وأتى هناك بأشياء مما أتى به في دمشق" ثم

---

(1) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج 3 ، ص249 ، ترجمة رقم 1269 ، الكتبي : فوات الوفيات ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، 1951 ، ج2 ، ص445 ، ترجمة رقم 421 .

(2) الذهبي : شذرات الذهب ، ج6 ، ص64 .

(3) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ج 2 ، ص817 ، ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج 1 ، ص264 .

(4) البرزالي : المصدر السابق ، ج2 ، قسم 1 ، ص282 .

(5) البرزالي : المصدر السابق ، ج2 ، قسم 1 ، ص335 .

(6) العيني : عقد الجمان ، ج4 ، ص356 .

عاد بعد زمن طويل إلى دمشق وأقام بالباقون [1] ، ولم يزل مختفيا إلى أن مات في 16 من ربيع الآخر من عام 724هـ/1324م[2] .

والباجربقي صاحب "الملحمة الباجربقية" وله غيرها عدة تصانيف أخرى اتهم فيها بالزندقة [3] . ومن أقواله : "إن الرسل طولت على الأمم الطرق إلى الله"[4] .

طافت دعوة الباجربقي بالشام ومصر والعراق وصار له أتباع وأنصار يتبعون طريقته في التصوف والتي عرفت بالباجربقية وتعني الزندقة والاستهانة بالعقيدة والقدح في الله وفي رسوله ونحو ذلك[5] .

ومن أتباع الباجربقي في الشام ، عثمان الدكالي ، وكان أحد صوفية خانقاه الشميساطية فدعا بعض العوام إلى طريقة الباجربقي وقال لهم "أنا أدلكم على الطريق إلى الله" فخالف أحكام الشريعة فلما شاع أمره اعتقل وأحضر إلى دار العدل وقامت عليه البينة بعظائم من القول توجب إباحة دمه منها دعوى الألوهية والتنقص بالأنبياء والانتماء إلى الاتحادية

---

(1) الصفدي : أعيان العصر ، ج4 ، ص506 .

(2) ابن كثير : البداية ، ج9 ، ص387 .

(3) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج9 ، ص262 ، المقريزي : السلوك ، ج2 ، قسم 1 ، ص258 .

(4) الكتبي : فوات الوفيات ، ج 2 ، ص445 ، الصفدي : الوافي ، ج 3 ، ص250 . يشير إلى أن الفرائض والعبادات حجاب عن الله .

(5) انظر ترجمة ناصر الدين بن أبي الفضل المقتول عام 726هـ/1326م وترجمة عثمان الزنديق المقتول عام 741هـ/1340م .

والباجربقية[1] ، فأنكر ما نسب إليه وادعى العداوة بينه وبين الشهود فرد إلى السجن مقيدا ثم أحضر في شوال من عام 741هـ/1341م وسئل عن قوادح في الشهود فعجز عن إثبات ذلك ، فحكم بضرب عنقه في سوق الخيل بدمشق[2] .

ومن الصوفية الذين نالوا مكانة مميزة لقربهم من السلطان أبو عبد الله محمد بن سلامة الكركي فقد كانت له مكانة بارزة عند السلطان الظاهر برقوق "فكان يجلسه فوق قضاة القضاة" [3] . استفاد الكركي من هذا فعمل على الدعوة إلى أفكار الصوفي ابن عربي والترويج لها وكانت له مع الشيخ سراج الدين البلقيني مقامات ، وكان ابن حجر العسقلاني يبغضه في الله وقد وقعت منه أمور منكرة في الحج ، فكتب فيه محضرا بأمور صدرت منه تقتضي الكفر إلا أن السلطان كان يحيطه برعايته فلم يستطيعوا القيام عليه بسبب ذلك حتى مات عام 800هـ/1397م[4] .

وهناك محمد الحضري المدفون بناحية نهيا بالغربية ، كان يتكلم بألفاظ لا يطيق أحد سماعها في حق الأنبياء وغيرهم ، وسألوه خطبة الجمعة يوما فقال "بسم الله فطلع المنبر فحمد الله وأثنى عليه ومجده ثم قال وأشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام فقال الناس كفر فسل السيف

---

(1) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج19 ، ص521 ، ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج1 ، ص ص127، 128 وقال عنه أبو الفدا في المختصر ، ج 4 ، ص154 "سمع منه من الزندقة ما لم يسمع من غيره لعنه الله" .

(2) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج 19 ، ص521 ، ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ج 1 ، ص128 ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 9 ، ص453 ، الصفدي : أعيان العصر ، ج3 ، ص ص238،237 ، ابن حجر : الدرر ، ج2 ، ص ص441 ، 442 .

(3) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج12 ، ص165 .

(4) ابن حجر : انباء الغمر ، ج3 ، ص412 .

ونزل فهرب الناس كلهم من الجامع فجلس على المنبر إلى أذان العصر وما تجرأ أحد أن يدخل الجامع" وكان إذا أمسك أحد أمسكه من لحيته ويصير يبصق على وجهه ويصفعه حتى يبدو له إطلاقه، وظل كذلك حتى مات عام 897هـ/1491م[1] .

ونختم العصر المملوكي بإبراهيم بن عصيفر المجذوب وأصله من ناحية البحر الصغير [2] وكان ينام مع الذئاب بالبرية وينام في الكنائس مع الرهبان فلما سئل عن ذلك قال إن النصارى لا يسرقون النعال في الكنيسة بخلاف المسلمين في المساجد . وكان يتشوش من قول المؤذن : الله أكبر فيرجمه ويقول "عليك يا كلب نحن كفرنا يا مسلمين حتى تكبروا علينا" .

وكان يعتبر صوم المسلمين باطل لأنهم يأكلون اللحم الضاني أما صوم النصارى فعنده مقبول لأنهم لا يأكلون اللحم الضاني ، مات إبراهيم المجذوب عام 942هـ/1535م[3] .

وقد انضم بعض المماليك إلى هؤلاء الاتحاديين بعد أن اعتنقوا التصوف ، ومن هؤلاء قجماس بن عبد الله القشيري الصيري (ت800هـ/ 1397م) ، "كان من نقباء الدسوقية ويقال إنه كان داعيا إلى مقالة ابن عربي ويباحث معه" [4] ، والأمير طوغاي بن عبد الله العمري أحد

---

(1) الشعراني : الطبقات الكبرى ، ج2 ، ص ص106 ، 107 ، ومع هذا يصفه الشعراني برضي الله عنه .

(2) المعروف بالمنهي بالقرب من الفيوم . انظر : المقريزي : الخطط ، ج1 ، ص247 .

(3) الشعراني : الطبقات الكبرى ، ج 2 ، ص140 ، الذهبي : شذرات الذهب ، ج 8 ، ص246 ، علي مبارك : الخطط التوفيقية ، الهيئة المصرية العامة ، 1982م ، ج2 ، ص340 .

(4) ابن حجر : انباء الغمر ، ج3 ، ص ص409 ، 410 .

أمراء العشرات [1] بالديار المصرية "ونقيب الفقراء السطوحية" [2] كان يحب الفقراء ويتردد لزيارة الصالحين ، توفي عام 800هـ/1397م[3] .

ومقبل بن عبد الله الرومي عتيق الناصر حسن ، طلب العلم واشتغل في الفقه على المذهب الشافعي "ثم تعمق في مقالة الصوفية الاتحادية" توفي في عام 802هـ/1399م[4].

وهكذا رأينا كيف نشر هؤلاء كثيرا من الضلالات والبدع التي تخرج صاحبها من الإسلام .

رابعا : الطوائف المنحرفة :

وجد الزنادقة في الطوائف المنحرفة أرضا خصبة لنشر أفكارهم خاصة عندما كانوا يجدون صعوبة في ذلك متسترين بالتشيع أحيانا ، وبالزهد أحيانا ، وبالفلسفة والحكمة أحيانا أخرى [5] . وهؤلاء انتسبوا إلى الإسلام ظاهرا وأخفوا عقائدهم وشرعوا في تأويل آيات القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ حسب أهوائهم ، ومن هؤلاء :

طائفة الحريرية :

وتنتسب إلى الشيخ علي بن أبي الحسن بن منصور الحريري الحوراني الأصل من قرية بسر . قدم دمشق وأقام بها لفترة ، وكان يعمل

---

(1) أمير عشرة : مرتبة حربية يكون في خدمة صاحبها عشرة مماليك . ويكون صغار الولاة من طبقة أمراء العشرات . انظر سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص 400 .

(2) السطوحية هم أتباع السيد أحمد البدوي .

(3) ابن تغري بردي : النجوم ، ج12 ، ص165 .

(4) ابن حجر : انباء الغمر ، ج4 ، ص ص183 ، 184 .

(5) مصطفى السباعي : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ط/ثانية ، بيروت ، 2000م ، ص101 .

بصناعة الحرير ثم تزهد وبنى له زاوية [1] ، وتبعه طائفة من الفقراء وهم المعروفون بالحريرية أصحاب الزي المنافي للشريعة وباطنهم شر من ظاهرهم[2] .

أكثر الحريري من الاستهزاء بأمور الشريعة والتهاون بها وإظهار شعار أهل الفسوق والعصيان والتجرأ على الله والاستخفاف بأمر الصلوات والزندقة حتى صار الحريري "من أفتن شئ وأضره على الإسلام" بسبب من أفسدهم وأضلهم من أولاد أكابر دمشق[3] .

وكان يقول : لو ذبحت بيدي سبعين نبيا ما اعتقدت أني مخطئ ، يعني لو ذبحتهم ، لفعلت ما أراده الله مني ، إذ لا يقع شئ في الكون إلا بإرادة الله [4] .وكان يعاشر الأحداث ويصحبهم ويقيمون عنده [5] ، وكتان يجمع في مجلسه الغناء والرقص والمردان[6] .

وقد أفتى بزندقته ووجوب قتله جماعة من علماء المسلمين منهم الشيخ عز الدين بن عبدالسلام والشيخ تقي الدين بن الصلاح والشيخ أبي عمرو بن الحاجب شيخ المالكية وغيرهم ، إلا أن السلطان اكتفى بحبسه

---

(1) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج14 ، ص ص520–521 ، سير أعلام النبلاء ، ج23 ، ص224 .

(2) أبو شامة : الذيل ، ص 180 ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 23 ، ص ص224 ، 225، الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج14 ، ص521 .

(3) أبو شامة : الذيل ، ص 180 ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 23 ، ص ص224 ، 225 ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج14 ، ص521 .

(4) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج14 ، ص523 .

(5) نفسه ، ص524 .

(6) أبو شامة : الذيل ، ص180 .

مرتين واشترط عليه ألا يقيم بدمشق فعاد إلى قريته بسر حتى مات بها في رمضان من عام 645هـ/ 1248م[1].

ولكن على الرغم من وفاة الشيخ الحريري ، إلا أن أتباعه اعتادوا على إحياء ليلة سبعة وعشرين – وهي من ليالي القدر – "بالدفوف والشبابات والملاح والرقص إلى السحر" إلى غير ذلك من أمور الزندقة والبعد عن الشريعة[2] .

طائفة الأحمدية الرفاعية :

وتنتسب هذه الطائفة إلى الشيخ أبوالعباس أحمد بن علي المعروف بابن الرفاعي شيخ الطائفة الأحمدية الرفاعية البطائحية لأنه سكن أم عبيدة من قرى البطائح وهي بين البصرة وواسط ، وكان شافعي المذهب ، اتبعته طائفة من الفقراء والتفوا حوله فسموا بالطائفة الرفاعية ويقال لهم أيضا الأحمدية أو البطائحية ، وقد مات في عام 577هـ/ 1181م دون أن يعقب وإنما النسل لأخيه وذريته يتوارثون المشيخة بتلك البلاد[3] .

أما طائفته ففيهم "الجيد والردئ وقد كثر الزغل فيهم وتحدرت لهم أحوال شيطانية من دخول النيران والركوب على السباع واللعب بالحيات وهذا ما عرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه"[4] .

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج9 ، ص117 .

(2) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج14 ، ص528 .

(3) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 12 ، ص312 ، الذهبي : شذرات الذهب ، ج 4 ، ص259 ، الموسوعة الميسرة ، ج1 ، ص262 .

(4) اليافعي : مرآة الجنان ، ج 3 ، ص409 . وانظر الذهبي : شذرات الذهب ، ج 4 ، ج4 ، ص ص259 ، 260 حيث يذكر أنهم يأكلون الحيات حية وينزلون إلى التنانير وهي تضرم نارا ويدخلون إلى الأفران أثناء عمل الخباز ولا يبالون بالنار ويرقصون عليها ، وقال عنهم الشيخ الألوسي في غاية الأماني في الرد على النبهاني "وأعظم

وقد أثارت هذه الطائفة غضب شيخ الإسلام ابن تيمية فاعترض على سلوكياتهم مما دفعهم للشكوى منه إلى نائب السلطنة بدمشق عام 705هـ/ 1305م ، وطلبوا منه أن يكف عنهم ابن تيمية فلا ينكر عليهم ويتركهم لحالهم وكانوا جمعا كثيرا ، فاستدعي الشيخ ابن تيمية ليواجههم فأمرهم باتباع الشريعة الإسلامية قولا وفعلا وإن خرجوا عنها وجب الإنكار عليهم فأرادوا أن يأتوا بأشياء مما يفعلونها فأثبت لهم الشيخ أن مثل هذه الأمور كلها من باب الحيل والخداع المخالف للشريعة المحمدية ، وما زال بهم حتى أثبت أمام الحاضرين مخالفتهم للسنة وأقر الجميع بوجوب الإنكار عليهم ، وانتهى المجلس على أنهم يخلعون الأطواق الحديدية من رقابهم وأن من يخرج منهم عن الكتاب والسنة تضرب عنقه[1] .

النصيرية :

الناس بلاء في هذا العصر على الدين والدولة : مبتدعة الرفاعية فلا تجد بدعة إلا ومنهم مصدرها وعنهم موردها ومأخذها فذكرهم عبارة عن رقص وغناء والتجاء إلى غير الله وعبادة مشايخهم وأعمالهم عبارة عن مسك الحيات" . انظر الموسوعة الميسرة ، ج1 ، ص270 .

(1) البرزالي : المنتقى ، ج 2 ، قسم 1 ، ص298 ، العيني : عقد الجمان ، ج 4 ، ص ص406 ، 407 .

وقد صنف ابن تيمية بعد هذه الواقعة جزء من حال الأحمدية وأصلهم وشيخهم وما في طريقتهم من مقبول ومردود بالشرع .

ومما يروى أن أحد الفقراء الأحمدية أتى إلى ابن تيمية وأراد أن يظهر له بعض حيله في دخول التنور بعد ثلاثة أيام من وقود النار فيه فقال له الشيخ "أنا ما أكلفك ذلك ولكن دعني أضع هذه الطوافة في ذقنك فجزع ذلك الفقير وأبلس" .

انظر الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج 7 ، ص18 .

النصيرية فرقة من غلاة الشيعة ظهرت في القرن الثالث الهجري تنتسب إلى محمد بن نصير النميري وهم يعتقدون في ألوهية علي بن أبي طالب ومقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه وهم مع كل غاز لأرض المسلمين[1] .

ولهذه الفرقة معتقدات باطلة عديدة منها أنهم يحلون الخمر ، ويقولون بتناسخ الأرواح ، وقدم العالم ، وينكرون البعث والجنة والنار ، والصلوات الخمس عندهم هي إسماعيل وحسن وحسين ومحسن وفاطمة ، ولا غسل عندهم من جنابة ، بل ذكر هذه الخمسة يغني عن الغسل وعن الوضوء ، والصيام عندهم عبارة عن ثلاثين رجلا وثلاثين امرأة ذكروهم في كتبهم ، وأن إلههم علي بن أبي طالب خلق السموات والأرض وهو الرب ، وأن محمدا هو الحجاب وسلمان هو الباب[2] .

وقد خرجت جماعة من النصيرية بطرابلس عن الطاعة في عالم 717هـ/1317م بزعامة رجل ادعى أنه محمد بن الحسن المهدي ثاني عشر الأئمة عند الإمامية وقدر عدد من خرجوا معه بثلاثة آلاف نفر فهاجموا مدينة جبلة ونهبوا أموال الناس [3] وقاتلوا المسلمين "ورفعوا أصواتهم بأشياء قبيحة ، وخربوا المساجد واتخذوها حانات لشرب الخمر "[4] .

---

(1) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان ، ج1 ، ص393 .

(2) المقريزي : السلوك ، ج2 ، قسم 1 ، ص178 .

(3) أبو الفدا : المختصر ، ج4 ، ص98 .

(4) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج2 ، ص81 .

استفتى السلطان الناصر محمد علماء المسلمين في هذه الطائفة فحكم العلماء بكفرها لاعتناقها معتقدات باطلة وممارستها لأمور تخالف صريح القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة[1] .

يقول عنهم ابن تيمية : "هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية ، هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى بل أكفر من كثير من المشركين ، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار الترك والفرنج وغيرهم ... وهم دائما مع كل عدو للمسلمين فهم مع النصارى على المسلمين ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار ... ثم إن التتار ما دخلوا ديار الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك الأمصار إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم"[2] .

جرد السلطان الناصر محمد بن قلاوون إليهم عسكرا من طرابلس شتتوا وقتلوا منهم نحو ستمائة نفر وهرب الخارجي واختبأ في الجبال فتتبعوه وقتلوه وعاد الجيش منتصرا[3] .

اتخذت إجراءات عديدة لمنع تكرار ذلك فأمر بأن يبنى في كل قرية من قرى النصيرية مسجدا ويفرد له من أراضي القرية رزقه برسم المسجد ، وأن يمنع النصيرية من الخطاب[4] .

---

(1) أحمد محمود كريمة : قضية التفكير في الفقه الإسلامي ، ص183 .

(2) المقريزي : السلوك ، ج2 ، قسم 3 ، ص ص945 ،946 .

(3) أبو الفدا : المختصر ، ج 2 ، ص98 ، ابن حبيب : المصدر السابق ، ص 81 ، النويري : نهاية الأرب ، ج32 ، ص ص277 ، 278 .

(4) الخطاب : وهو أن يحلف الصبي إذا بلغ الحلم أربعين يمينا على كتمان مذهبهم القائم على ألوهية علي بن أبي طالب وإباحة الخمر وتناسخ الأرواح وإنكار البعث وإنكار الجنة والنار إلى غير ذلك .

انظر المقريزي : المصدر السابق ، ج 2 ، قسم 1 ، ص178 .

طائفة الحروفية أو النسيمية :

تنتسب هذه الطائفة إلى الشيخ فضل الله بن أبي محمد التبريزي ، وكان من الاتحادية "ثم ابتدع النحلة المعروفة بالحروفية فزعم أن الحروف هي عين الآدميين" إلى غير ذلك من الخرافات وعندما دعا التبريزي تيمورلنك إلى بدعته أراد قتله ففر التبريزي واستجار بولده أمير زادة إلا أن الأخير ضرب عنقه بيده ثم أمر تيمورلنك برأسه وجثته فأحرقها وكان ذلك في عام 804هـ/1401م[1] .

واصل أتباع التبريزي دعوته فظهر من أتباعه الشيخ نسيم الدين التبريزي نزيل حلب وكان له أتباع كثيرون ، وكان يرى أن "الشرائع التي وردت عن الله لا حقائق لها وأن الرسل كانوا أناسا عقلاء أرادوا بها كف أذى بعض الناس عن بعض وأنه لا إله" . فأفسد بذلك عقائد كثيرين بحلب ، ولشهرته سميت طريقته بالنسيمية نسبة إليه بعد أن كانت تعرف بالحروفية ، ثم إن السلطان المؤيد شيخ المحمودي (815–824هـ/1412–1421م) أمر بقتله فضربت عنقه وسلخ جلده وحشي تبنا وصلب وكان ذلك في عام 820هـ/1417م[2] .

على أن الدعوة النسيمية لم تنته بصلب النسيمي ففي أواخر رمضان من عام 838هـ/1435م أتى للسلطان شريف من الشام ومعه أوراق تتعلق بالنسيمي وشيخه فضل الله جاء فيها "إن بالشام ومصر جماعة على عقيدته وأنه تصدى لتتبعهم وكشف عورتهم ، وأنه وجد بالقاهرة شخصا منهم" فأمر السلطان بإحضاره ومعه كتبه ثم عقد السلطان مجلسا وأتى بالرجل وكتبه – وكانت مكتوبة بالفارسية – وقد اشتملت على فكر الاتحادية وأن الإلهية

---

(1) ابن حجر : انباء الغمر ، ج5 ، ص46 .

(2) ابن حجر : انباء الغمر ، ج7 ، ص ص269 ، 270 .

انتقلت من الله لآدم ومن آدم لآخر إلى أن انتقلت لفضل الله وخلاصة فكرهم "أن الله هو الحروف" .

أنكر الرجل معرفته بما في الكتب وتشهد وأعلن التبرأ من كل دين يخالف الإسلام وصرح بكفر من صنف هذه الكتب وامتثل لأمر الشافعي وأحرق الكتب بيده ونودي "من عرف من أهل مذهب النسيمي ووجد عنده شئ من كتبه وأحضره للسلطان كان له مائة دينار" ، ثم أمر السلطان بخروج جميع طوائف العجم من القاهرة والقلعة في خلال ثلاثة أيام[1] .

وقد تكرر ذلك في عام 841هـ/1437م عندما أتى شخص من أهل أنطاكية فذكر للقائمين على البلاد أمورا كثيرة عن طائفة النسيمية "وكتبت له مراسيم بالقيام عليهم"[2] .

طائفة المطاوعة :

وهي طائفة كبيرة من عرب الشرقية يبيحون النظر إلى الأمرد الجميل ويشترونه من أهله بأموال كثيرة ويعطى الثمن لمشايخهم ويسمحون في اختلاء الأجنبي به للفساد "ويرون الرقص في المساجد وغيرها والتصفيق قربة عظيمة ويعتقدون حل ذلك" . ولا يصلون خلف إمام غريب ولو كان إمام أحد المساجد الثلاثة ولا يسلمون له ولا يقتدون بأفعاله ، ولا يصلون على جنازة غريب إلى غير ذلك من القبائح التي اشتهرت عنهم وعظم البلاء بها . وعقد مجلس من مشايخ الإسلام مثل الشيخ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ/1448م) وابن البلقيني من الشافعية وابن الديري من الحنفية وأبي القاسم النويري والشمس بن عامر من المالكية والبدر البغدادي من الحنابلة فأجابوا بما فيه ردع لهؤلاء لارتكابهم المعاصي .

---

(1) ابن حجر : انباء الغمر ، ج8 ، ص ص350 ، 351 .

(2) نفسه ، ج7 ، ص271 .

أرسل السلطان إلى كاشف الشرقية عبد الله يأمره بإحضار مشايخهم وأتباعهم فأحضرهم وكانت عدة مشايخهم عشرة أما الأتباع فكانوا يزيدون عن الألف وعقد مجلس بحضور القضاة وطلب مشايخهم أن يقرأوا الفاتحة فلم يحسنوا قراءتها فحينئذ أمر بالدعوى عليهم بما يفعلونه فأنكروا فلما قامت عليهم البينة أمر بضربهم فضربوا ضربا مبرحا هم وأتباعهم وكتبت إلزامات وقسائم على شيوخهم ثم أطلقوا بعد أن أقاموا فترة قصيرة في الحبس[1] .

إلى جانب هذه الفرق المنحرفة كان هناك طوائف من العجم يفدون إلى القاهرة ويطوفون في أسواقها وطرقاتها يستجدون الناس تارة ويظهرون الصلاح تارة أخرى ، وهؤلاء كانوا زنادقة "ينحلون مذهب الإلحاد ويصرحون بتعطيل الصانع تعالى ، وينكرون شرائع الأنبياء ويجهرون بإباحة المحرمات" ، ولهذا كانت الدولة تتبع هؤلاء وتأمر بإخراجهم من القاهرة وظواهرها [2] . ولكن رغم النداءات المتكررة لإخراجهم لم يكن يتم من ذلك شئ[3] .

القدح بالزندقة والتكفير في العصر المملوكي [4]:

من الأمور التي انتشرت في العصر المملوكي شيوع التكفير والقدح بالزندقة ، وكثر عقد مجالس لمحاكمة المتهمين كانت تصدر أحكاما بالقتل أو التعزير حسب ما يقدمه المتهم من أدلة لينال البراءة مما نسب له .

وسنعرض بعضا من صور التكفير في مجتمع الفقهاء :

---

(1) السخاوي : التبر المسبوك في ذيل السلوك ، ج1 ، ص227–229 .

(2) المقريزي : السلوك ، ج4 ، قسم 3 ، ص1206 حوادث 844هـ/1440م .

(3) ابن حجر : انباء الغمر ، ج8 ، ص352 .

(4) قال صلى الله عليه وسلم : "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه" . انظر صحيح مسلم ، ط/الحلبي ، ج 1 ، ص79 . ولهذا يحرم اتهام المسلم بالكفر ومنه قوله له يا كافر .

في يوم الثلاثاء 13 شعبان من عام 691هـ/1195م صدرت من جمال الدين المحقق معيد [1] القيمرية بدمشق هفوة فشكاه مدرس المدرسة صدر الدين ابن رزين فما كان من المحقق إلا أن جدد إسلامه عند القاضي شرف الدين الحنبلي الذي حكم بإسلامه وحقن دمه وترك عمله في القيمرية وقايض نجم الدين الدمشقي ليحل محله في الرواحية[2] .

وكانت الخلافات بين الفقهاء أحيانا سببا في ادعاء بعضهم على بعض بالكفر مثلما حدث مع شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ/1328م) وكان عالما حرا مجتهدا عمل على التصدي لأرباب المذاهب والمعتقدات الدينية ممن يرى فيهم الانحراف عن عقيدة السلف فناصبه كثيرون العداء وحاولوا الكيد له والنيل منه بسبب آرائه وفتاويه وسعوا ضده لدى السلاطين فسجن أكثر من مرة واتهمه أعداؤه بالكفر والزندقة[3] .

كذلك حدث مع شمس الدين الركراكي أحد الفضلاء المالكية – وكان من الطلبة بالشيخونية [4] – عندما وقع خلاف بينه وبين شيخها أكمل الدين

---

(1) معيد : صاحب وظيفة بالمدرسة ، يأتي دون المدرس في الأهمية وعمله أن يعيد للطلبة ما ألقاه عليهم المدرس ليفهموه ويحسنوه . انظر سعيد عاشور : العصر المماليكي ، القاهرة ، 1994 ، ص457 .

(2) البرزالي : المقتفى ، ج 1 ، قسم 2 ، ص286 ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث 691هـ ، ص ص13–14 .

(3) محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، القاهرة ، 1947م، جزء 3، ص 225–235 .

(4) الشيخونية : أنشأها الأمير سيف الدين شيخون الناصري رأس نوبة الأمراء سنة 756هـ وكان مكانها سويقة منعم فيما بين الصليبية والرميلة تحت قلعة الجبل . انظر المقريزي : السلوك ، ج 3 ، قسم 1 ، ص248 ، حاشية 1 .

في عام 773هـ/1371هـ[1] قام على أثره الشيخ بالادعاء عليه عند الأمير ألجاي بقوادح في الشريعة توجب إراقة دمه وعقد له مجلسا لذلك فتعصب له بعض الفقهاء وتعصب ضده آخرون[2]. ثم انتهى الأمر بأن حقن دمه ونفي إلى الشام[3] .

وادعي بالقاهرة في عام 781هـ/1379م على الشيخ زين الدين عمر بن مسلم القرشي وولده شهاب الدين الواعظ عند القاضي جمال الدين العجمي المحتسب بأنهما تكلما بين العامة بكلام يتعلق بالصفات ويؤدي إلى التشبيه والتجسيم فحبسهما المحتسب ثم تكلم فيهما القاضي برهان الدين بن جماعة حتى نصرهما وأطلقا بعد ستة أشهر[4] .

والشيخ ركن الدين أحمد بن محمد بن عبد المؤمن القرمي قاضي قرم قدم القاهرة بعد أن حكم بقرم ثلاثين سنة فناب في الحكم وولي إفتاء دار العدل ودرس بالجامع الأزهر وغيره .

وحدث أثناء إلقائه درس التفسير بالأزهر أن "وقع منه شئ" فتعصب ضده جماعة وكفروه فبادر إلى الشيخ سراج الدين الهندي فحكم بإسلامه فاتفق أنه حضر بعد ذلك درسا للسراج الهندي "ووقع من السراج شئ" فسارع ركن الدين وقال هذا كفر فضحك السراج "حتى استلقى على قفاه وقال يا

---

(1) ابن حجر : انباء الغمر ، ج1 ، ص7 .

(2) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج1 ، قسم 2 ، ص105 .

(3) ابن حجر : المصدر السابق ، ج1 ، ص7 .

(4) ابن حجر : انباء الغمر ، ج 1 ، ص307 ، ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج3 ، ص11.

شيخ ركن الدين تكفر من حكم بإسلامك فأخجله" . وتوفي في عام 783هـ/1381م[1] .

وجرى نقاش في عام 784هـ/ 1382م بين شيخ الإسلام البلقيني الشافعي وبين بدر الدين بن الصاحب (ت 788هـ/ 1386م) انتهى بتكفير البلقيني لابن الصاحب وطلبه إلى قاضي القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن خير المالكي [2] "فقام عليه جماعة وادعوا عليه عند المالكي"، وسعى آخرون له حتى نقلت القضية إلى القاضي الشافعي . وأقام ابن الصاحب مدة في حبسه حتى حكم بحقن دمه لعدم كفره وبقائه على دين الإسلام واستمر في وظائفه[3] ، إلا أنه "حصل له بذلك أذى"[4] .

وكان قاضي قضاة المالكية بمصر محمد بن يوسف الركراكي مقرب من السلطان الظاهر برقوق وينسب لسوء الاعتقاد [5] ، وكان يقول : "إذا طلع زحل أسجد له ينفعك" وكان قد حسن للسلطان قتل الشيخ سراج الدين البلقيني بأن يقيم عليه البينة بما يوجب الكفر ثم يحكم بقتله ، وقدم مع

---

(1) ابن حجر : المصدر السابق ، ج2 ، ص ص64 ، 65 ، الذهبي : شذرات الذهب ، ج6 ، ص279 .

(2) الصيرفي : نزهة النفوس ، ج 1 ، ص52 ، المقريزي : السلوك ، ج 3 ، قسم 2 ، ص481 ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج1 ، ص294 .

(3) ابن حجر : انباء الغمر ، ج 2 ، ص102 ، الصيرفي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص52 .

(4) ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج3 ، ص92 .

يدل ذلك على أن الاتهام بالكفر حتى وإن انتهى بالبراءة إلا أن صاحبه كان يفقد كثيرا من مكانته في المجتمع.

(5) ابن حجر : انباء الغمر ، ج3 ، ص102 .

السلطان في عام 793هـ/1391م إلى دمشق وشرع يهدد فقهائها بالقتل فقيل إنه دس له السم في شهر رمضان من نفس العام ودفن بحمص[1] .

ووقع الخلاف بين يلبغا السالمي وشهاب الدين أحمد العبادي أحد نواب الحنفي في عام 797هـ/1394م وذلك لأن يلبغا السالمي لما تولى نظر خانقاه "سعيد السعداء" اضطر لقطع رزق خمسين من صوفية الخانكاه من الميسورين وكان منهم العبادي فشق عليه قطعه من الخانقاه وأطلق لسانه فيه وصرح بأن السالمي كفر وصار يقول في مجالسه الكافر يلبغا السالمي فلما علم السالمي بذلك شكاه للسلطان وأثناء عودته إلى بيته مر به العبادي فسار إليه وقبض على كمه ودعاه إلى الشرع فسار العبادي يقول تمسك كمي؟ كفرت وصار يقول "يمسك كمي ومذهبي أن من خاطب الفقيه "يا فقيه" بصيغة التصغير فقد كفر وأنت مسكك كمي فيه تنقيص وهو كفر" . وفشلت مساعي الصلح بينهما . ثم عقد السلطان مجلسا لهما انتهى إلى تعزير العبادي[2] .

ووقع خلاف في عام 844هـ/1440م بين حميد الدين بن تاج الدين الفرغاني[3] ، وبين شمس الدين محمد بن علي بن عمر الصفدي قاضي قضاة الحنفية بدمشق فادعى الفرغاني عليه "أنه سئل عن الحكمة في طواف النبي ﷺ على نسائه في ليلة واحدة فأجاب بأنه فعل ذلك ليعفهن عن

---

(1) ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ج3 ، ص414 .

(2) المقريزي : السلوك ، ج3 ، قسم 2 ، ص834–837 ، ابن حجر : انباء الغمر ، ج3 ، ص248–250 ، الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ج 1 ، ص407–410 ، ابن قاضي شهبة ، ج3 ، ص546–549 .

(3) رجل بغدادي من فقهاء الحنفية يدعي نسبا للإمام أبي حنيفة .

الزنا"[1] ، وإن هذا كفر يوجب إراقة دمه فأمر السلطان بإحضاره من دمشق ثم عقد له مجلسا بحضور السلطان حضره قضاة القضاه الأربع وادعي عليه حميد الدين الفرغناني عند قاضي القضاة ابن حجر بأنه قال في أحد مجالسه "أنا ما أتقيد بمذهب أبي حنيفة بل أحكم تارة بمذهب الشافعي وتارة بمذهب مالك وتارة بمذهب أحمد" [2] . وأنكر القاضي شمس الدين الصفدي ذلك وذكر أن مقصده الاختيار من كلام أبي حنيفة وأصحابه أبي يوسف ومحمد وزفر ثم يحكم بما يختار منهم .... فرأى القضاة الأربع بأنه لا شئ في ذلك أما قوله في أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – فثبت من قضاة الشام وأعيان فقهائها أنه لم يثبت عليه شئ من ذلك فسكن غضب السلطان عليه واستقر الصفدي في قضاء الحنفية بدمشق[3] .

واتهم شاهين نائب قلعة حلب بالكفر في عام 849هـ/1445م وذلك لأنه كان ناظرا على الأوقاف في حلب فقطع ووصل بغير حق فثار عليه أهل حلب فرد عليهم بكلمات عدها عليه القاضي الحنبلي علاء الدين بن مفلح كفرا وخروجا عن الشرع ، وصعد من أهل حلب جماعة إلى المآذن ونادوا بكفره[4] . وتحالف نائب حلب جلبان مع القاضي الحنبلي ضده ، فلما علم السلطان جقمق بذلك طلب حضور قضاة حلب ليسألهم عن الواقعة ثم

---

(1) ابن حجر : انباء الغمر ، ج9 ، ص132 .

(2) نفسه ، المقريزي : السلوك ، ج4 ، قسم 3 ، ص1217 .

(3) المقريزي : السلوك ، ج4 ، قسم 3 ، ص1218–1219 .

(4) العيني : عقد الجمان ، ج 5 ، تحقيق عبد الرازق القرموط ، القاهرة ، 1989م ، ص639 ، الصيرفي : نزهة النفوس ، ج4 ، ص320 .

بعد ذلك أمر بعزل نائب حلب جلبان وقرر عوضا عنه نائب حماه أما القاضي الحنبلي فأمر بأن يسجن بقلعة حلب عند الأمير شاهين[(1)] .

وكثيرا ما كان يقع تكفير بين الفقهاء أثناء قراءة صحيح البخاري فقد جرت عادة سلاطين المماليك على استدعاء قضاة القضاة والعلماء والفقهاء وجماعة من طلبة العلم إلى القلعة لقراءة صحيح البخاري وختمه في شهر رمضان من كل عام وكانت تقع بين الحاضرين مناقشات فقهية [(2)] ، فيكثر صياحهم "حتى يفضي بهم الحال إلى الإساءات التي تؤول أشد العداوات وربما كفر بعضهم بعضا وصاروا ضحكة لمن عساه يحضرهم من الأمراء والمماليك"[(3)] . ويبدو أن ارتفاع أصوات الحاضرين في مجلس قراءة صحيح البخاري بالقلعة والخصومات التي كانت تقع بينهم [(4)] دفعت السلطان برسباي (825–841هـ/ 1422–1438م) في عام 838هـ/ 1434م أن يأمر القاضي الشافعي بإحضار الفلقة والعصى عند حضوره مجلس سماع الحديث "ومن تعدى في كلامه أو أساء الأدب أدب وأكمد في ذلك"[(5)] .

---

(1) ابن حجر : انباء الغمر ، ج 9 ، ص ص235 ، 236 ، الصيرفي : نزهة النفوس ، ج4 ، ص321 .

(2) حسن أحمد البطاوي : أهل العمامة في مصر في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، 2007م، ص105 .

(3) المقريزي : السلوك ، ج4 ، قسم 2 ، ص1032 ، حوادث 841هـ ، الصيرفي : نزهة ، ج3 ، ص404 .

(4) حسن أحمد البطاوي : المرجع السابق ، ص105 .

(5) ابن حجر : انباء الغمر ، ج8 ، ص350 .

والفلقة : هي الآلة التي تمسك بها الأقدام للجلد وهي مصنوعة من الخشب . انظر زين العابدين شمس الدين نجم : معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية ، ص405 .

ولكن يبدو أن هذه الإجراءات لم تردع بعض الفقهاء ففي مجلس ختم صحيح البخاري عام 840هـ/1436م أكثر علاء الدين الرومي الحنفي من الحط على الشيخ باكير وكان الأول يسعى في مشيخة الشيخونية عوضا عن باكير فلما لم ينل مراده حط عليه حتى كفره(1) .

وعقد مجلس لمحاكمة الرومي لتفكيره باكير ، إلا أنه أنكر ذلك وانتهى الأمر بالصلح بينهما بإشارة السلطان(2) .

وفي عام 842هـ/1438م منع شيخ الإسلام ابن حجر الحاضرين – في جلسة قراءة صحيح البخاري – من البحث والمناقشة لأنها كانت تؤدي إلى خصومات كثيرة(3) .

كما أصبحت أفكار ابن عربي وعمر ابن الفارض (4) قضية دينية في العصر المملوكي احتدم حولها الصراع بين مؤيدين ومعارضين ، فهب أتباع ابن عربي للدفاع عن أفكاره ضد القائلين بتكفيره من فقهاء السلف . ولا شك أن هؤلاء الفقهاء كان عليهم دور كبير في التصدي لفكر هؤلاء ودحضه واتهامهم بنقص العلم والحط على ابن عربي وتكفيره وحرق كتبه والتحذير من الاعتقاد فيه وكذلك فعلوا مع تقية ابن الفارض فكفروه بها وكتبوا فيه الفتاوى(5) .

---

(1) ابن حجر : المصدر السابق ، ج8 ، ص ص423 ، 424 .

(2) نفسه ، ص ص425–426 .

(3) الصيرفي : نزهة النفوس ، ج4 ، ص ص54 ، 55 .

(4) عمر بن الفارض : أشهر شعراء الاتحاد ووحدة الوجود ويعرف عند الصوفية بسلطان العاشقين ، ولد عام 577هـ وعاش بمصر وله قصيدة عرفت "بالتائية" . توفي عام 632هـ/1234م .

انظر عنه : البقاعي : تنبيه الغبي ، ص137 .

(5) محمد صبري الدالي : المرجع السابق ، ص307–309 .

ولهذا شهد العصر المملوكي حوادث تكفير من كلا الجانبين .

ويبدو أن عدوى التكفير انتقلت إلى السلطان برقوق أيضا ففي عام 783هـ/1381م تكلم برقوق في حق القضاة بالتركي فقال : ما هم مسلمين مما أغضب بعض القضاة[1] .

وكان الخوف من التفكير هاجس أقلق بعضهم فقد قيل للشيخ علاء الدين بن العطار إن هناك بعض الفقهاء ومنهم القاضي المالكي يتكلمون في فتاويك بما يعرضك للمساءلة فخشى ابن العطار على نفسه وسارع إلى القاضي الحنفي فجدد إسلامه وحقن دمه في عام 704هـ/1304م ولما بلغ أصحابه ما فعله لاموه على تعجله "فحصل له انكسار" أما نائب السلطنة فغضب من وقوع الفتن بين الفقهاء وعاقب من تكلم في ابن العطار بالحبس ثم أطلقهم بعد أن أنكروا القيام عليه بما يؤذيه "فحصل له جبر بذلك"[2] .

وعزل نجم الدين بن السنجاري نفسه من الحسبة بدمشق عام 787هـ/1385م خوفا من تكفيره بعد أن وقعت له واقعة "فعزل نفسه قبل أن يعزل"[3].

وتخوف القاضي بدر الدين بن جماعة الحموي (ت 733هـ/1332م) من اتهامه بالزندقة ، وكان يزوره في بيته بدمشق القاضي شمس الدين بن الحافظ ناظر الجيش بصفد وطرابلس ، ليقرأ عليه رسالته في الاسطرلاب [4]،

---

(1) ابن حجر : انباء الغمر ، ج4 ، ص47 ، 48 .

(2) البرزالي : المصدر السابق ، ج2 ، قسم 2 ، ص284 ، اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ج2 ، ص818 .

(3) ابن قاضي شهبة : تاريخه ، ص157 .

(4) الاسطرلاب : جهاز استعمله المتقدمون في معرفة الوقت وتحديد أبعاد النجوم وحركتها .

انظر : زين الدين شمس الدين : المرجع السابق ، ص 44 .

فطلب منه أن يكتم ذلك ، لأن أحد المغاربة أخبره أنه رأى أحدهم في المسجد وفي كمه آلة الزندقة ، فلما سأله عنها تبين له أنها الأسطرلاب[1] .

وبسبب طمع بعض السلاطين ورغبتهم في جمع الأموال قاموا بتدبير المؤامرات والمكائد ووجهوا للبعض اتهامات بالزندقة من أجل التخلص منهم والاستحواذ على أموالهم أو لخلاف شخصي معهم وذلك مثلما فعل السلطان الظاهر جقمق في عام 853هـ/ 1449م عندما كاد للقاضي ولي الدين السفطي الشافعي (ت 854هـ/ 1450م) واتهمه بالكفر وقلة الدين وحرص القضاة على مجازاته أملا في قتله[2] .

وقصته مع أسد الدين الكيماوي في نفس العام أيضا تدل على ذلك فلقد ادعى هذا الرجل العمل بالكيمياء ونصب على التاجر المعروف بابن شمس وأخذ منه جملة من المال ثم اتصل بالسلطان وأوهمه أنه يجيد الكيمياء فصدقه السلطان وقربه طمعا فيما سيحصل عليه منه[3] .

وكلما شك السلطان في خداع الرجل كان الكيماوي يوهمه بما يطمئن قلبه وكان كثير الخداع والحيل . وعندما تأكد للسلطان كذبه وخداعه قبض عليه وحبسه، وعقدت المجالس للقضاة – بحضور السلطان – للنظر في أمره[4]. وادعى عليه بأنه دهري وأنه ينكر البعث والتمسوا من قاضي المالكية الحكم بقتله فامتنع لما رأى تعصبهم الزائد ضده وقال تقبل توبته ويعزر

---

(1) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج2 ، ص16 ، ج3 ، ص53 .

(2) ابن تغري بردي : النجوم ، ج15 ، ص392 ، 393 .

وانظر القصة كاملة في السخاوي : الذيل على رفع الإصر ، ص 245–255 .

(3) السخاوي : التبر المسبوك ، ج2 ، ص84 ، ابن تغري بردي : حوادث الدهور ، ج 1 ، ص33–34 ، المصدر السابق ، ج15 ، ص388 .

(4) ابن تغري بردي : حوادث الدهور ، ج 1 ، ص ص39–40 ، السخاوي : التبر المسبوك ، ج2 ، ص85 .

فتطوع أحد القضاة المالكية ويعرف بالشمس الديسطي فقال "بل المذهب أنه زنديق" وأيده بعض القضاة رجاء أنه بالمشي في غرض السلطان يوليه القضاء"[1] .

أحضر الكيماوي أسفل المدرسة الصالحية وحكم بضرب رقبته لثبوت زندقته وأنه ملحد كاذب عند القاضي المالكي الشمس محمد الديسطي فضربت عنقه وسط حضور جمع غفير من العوام وتألم لقتله جماعة منهم الشيخ شمس الدين الشرواني الذي ظل ينكر ما وقع[2] .

وتتشابه قضية زين الدين أبو الخير محمد المعروف بالنحاس المتوفى عام 864هـ/ 1459م ، مع قضية الكيماوي فقد كان النحاس من عامة الناس ثم تقرب إلى السلطان وصارت له كلمة نافذة ثم انحط قدره عنده فصادره ونكبه وضربه وحبسه ثم ادعى عليه الكفر عند القاضي المالكي ونفاه من مصر أكثر من مرة حتى مات مقهورا[3] .

وقصة الشمس منصور بن الصفي مع السلطان خشقدم (ت872هـ/1467م) لتدل على قسوة الادعاء بالزندقة ظلما .

---

(1) نفسه ، وهذا القاضي هو أبو الفضل المغربي ، ومع مساعدته للسلطان في قتل الكيماوي لم ينل مراده في تولي قضاء المالكية . انظر السخاوي : الذيل على رفع الإصر ، ص242 .

(2) السخاوي : المصدر السابق ، ج2 ، ص157 ، ابن تغري بردي : المصدر السابق ، ج1 ، ص41 .

يتضح لنا مما سبق أن سبب قتل الكيماوي هو نصبه على السلطان وخداعه له وهو أمر لا يعاقب عليه بالقتل مثلما فعل السلطان . ومما يؤسف له أن بعض القضاة أيدوا السلطان في ذلك طمعا في تحقيق مآرب خاصة وتقربا للسلطان .

(3) ابن تغري بردي : حوادث الدهور ، ج 1 ، ص ص84 ، 85 ، ابن تغري بردي :النجوم ، ج16 ، ص ص210، 211 .

كان أبوه من حملة كتبة الأقباط المسلمين وتعلم منصور أعمال الكتابة والحساب وخدم في بعض جهات المفرد ثم أخذ يترقى في المناصب حتى تولى الاستدارابة[1] فقام بها على أكمل وجه [2] ، ثم ما لبث أن غضب عليه السلطان خشقدم عام 870هـ/ 1465م فعزله ووقع له من الضرب والإهانة الشئ الكثير غير أن أعدائه من أهل الدولة تخوفوا منه فعملوا على التخلص منه لحاجة في أنفسهم فاتهموه بالزندقة وأنه يبطن الكفر ويظهر الإسلام ويسعى في الأرض فسادا وأنه يستحل المال الحرام .

كلف السلطان القاضي المالكي للنظر في قضية منصور وأصر على ذلك فسعى أعداؤه لجمع الشهود ضده وبذلوا من أجل ذلك أموالا كثيرة "حتى صار بعضهم يدور على الشهود وفي كمه الذهب ويعد بإعطاء الشاهد من عشرة دنانير إلى مائة دينار فأجابت جماعة من الناس وشهدوا زورا إلا من عصمه الله" .

وانتهى أمر منصور بضرب عنقه "تحت شباك الصالحية وهو يتلو القرآن ويتشهد والناس تصرخ بالبكاء عليه . وندم السلطان على قتله حيث لم ينفعه الندم[3].

ويبدو أن حاجة السلطان الغوري للأموال دفعته للقيام بذلك أيضا فعندما اختلف مع شرف الدين بن روقه – وكان من أهل العلم والفضل –

---

(1) الاستادار : وظيفة يتولى صاحبها شئون بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان وله مطلق التصرف في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوي وما يجري مجرى ذلك من المماليك وغيرهم . انظر سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص397 .

(2) ابن تغري بردي : حوادث الدهور ، ج3 ، ص587 .

(3) انظر القصة في ابن تغري بردي : حوادث الدهور ، ج 3 ، ص515–522 ، ص588–591.

من أجل الأموال سعى لإثبات الكفر عليه وضرب عنقه فعقد له مجلسا بالمدرسة الصالحية بحضور القضاة في صفر من عام 919هـ/ 1513م إلا أنه لم ينل ما أراد[1] .

كذلك فعل السلطان الغوري مع الخواجا شمس الدين محمد الجبلي في عام 920هـ/ 1514م فقد كان الخواجا شمس الدين من أعيان التجار ذو سعة ويسار فصادره السلطان أكثر من مرة وأدخله إلى المقشرة في الحديد وسعى السلطان لإثبات الكفر عليه من أجل ضرب عنقه ، حتى مات قهرا مما وقع له[2] .

على أن بعض سلاطين المماليك قد ساءه شيوع التكفير فعمل على الحد من ذلك بقمع الشيوخ المكفرين وردعهم حتى لا يتسرعوا في إصدار أحكامهم بالكفر مثلما فعل الناصر محمد بن قلاوون في عام 714هـ/1314م عندما أحضر الفقيه نور الدين علي البكري بين يديه وهم بقتله وذلك "لاجترائه وتسرعه في الإفتاء بالقتل والتكفير والتفسيق" [3] . ثم اكتفى بنفيه إلى بلده الصعيد – بعد شفاعة الأمراء فيه – ومنع من الفتوى والكلام في العلم[4] .

وعندما شكا الأمير تمراز نائب القدس من الأمين عبد الرحمان ابن الديري وما قام به من فتنة بالمدينة أدت إلى وقوع قتال قتل فيه شخص من مماليك تمراز بالإضافة إلى مناداته بغلق المسجد الأقصى وتكفيره تمراز

---

(1) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج4 ، ص299–300 .

(2) نفسه ، ج4 ، ص373 .

(3) البرزالي : المصدر السابق ، ج2 ، قسم 2 ، ص128 ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج9 ، ص346 .

(4) ابن كثير : نفسه .

والدعوى لجهاده . فلما علم السلطان غضب على ابن الديري لسوء تصرفه وأمر بوضع الجنزير في رقبته وحبسه وكان ذلك في عام 853هـ/ 1449م[1] .

ومن أغرب ما وقع من التكفير ما حدث في عام 747هـ/1346م أن فتاة من حلب من أحفاد عمر التبزيني أرغمها أهلها على الزواج من ابن المقصوص رغم كراهيتها له "فلقنت كلمة الكفر لينفسخ نكاحها قبل الدخول فقالتها وهي لا تعلم معناها ، فلما علم بذلك بيدمر البدري نائب حلب أحضرها إلى دار العدل وأمر فقطعت أذناها وشعرها وعلق ذلك في عنقها وشق أنفها وطيف بها على دابة بحلب فشق ذلك على الناس لجمالها وحيائها وعمل النساء عليها عزاء في كل ناحية بحلب حتى نساء اليهود ، وأنكر الجميع على القاضي ما فعله وقبحوا عمله . فاستدعي في العام التالي إلى مصر معزولا لما قام به في حق الفتاة وقد ندم البدري على ما فعله "حيث لا ينفعه الندم"[2] .

أثر الزندقة في نشاط الحركة الفكرية :

كانت الزندقة وراء معارك كلامية عقائدية عنيفة [3] ، فالفقهاء تعقبوا الزنادقة بالمناظرات وبنقد آرائهم في مقالاتهم ورسائلهم [1] ، مما ساعد على نشاط الحركة الفكرية والتأليف للرد على الزنادقة[2] .

---

(1) ابن تغري بردي : حوادث الدهور ، ج1 ، ص41 .

(2) أبو الفدا : المختصر ، ج4 ، ص ص168–169 .

كان أجدى بالنائب أن يعرض قضية الفتاة على القضاة بحلب ويرد أمرها إلى الشرع بدلا من أن يأخذ على عاتقه عقوبتها بما لم يرد فيه نص شرعي ثم يشهر بها . لا شك أن هذه القضية تعكس خطورة التكفير .

(3) جبو واير نغرين : ماني والمانوية ، ترجمة سهيل زكار ، دمشق ، 1985 ، ص8 .

(1) الموسوعة العربية العالمية ، الرياض ، 1999م ، ج16 ، ص212 .

(2) فعندما دس ابن البقي الزنديق سؤالا إلى الفقهاء وجعله على لسان بعض أهل الذمة وهو :

ايا علماء الدين ذمي دينكم تحير دلوه بأوضح حجة

إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضه مني فما وجه حيلتي

دعاني وسد الباب عني فهل إلى دخولي من سبيل بينوا لي قضيتي

قضي بضلالي ثم قال ارض بالقضا فهل أنا راض بالذي فيه شقوني

فإن كنت بالمقضي يا قوم راضيا فربي لا يرضى لشؤم بليتي

وهل لي رضا ما ليس يرضاه سيدي وقد حرت دلوني على كشف حيرتي

إذا شاء ربي الكفر مني مشيئة فها أنا راض باتباع المشيئة

وهل لي اختيار أن أخالف حكمه فبالله فاشفوا بالبراهين حجتي

وقد قصد بهذا السؤال الطعن على الشريعة الإسلامية فانتدب أكبر علماء مصر والشام لجوابه نظما منهم الشيخ علاء الدين الباجي والشيخ تقي الدين بن تيمية الحنبلي . وخلاصة كلام أهل السنة : أن الواجب الرضا بالتقدير لا بالمقدور وكل

ومن الذين تصدوا بمؤلفاتهم لمواجهة الزنادقة ، شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ/ 1328م) ومن مؤلفاته : "المسائل الاسكندرية في الرد على الاتحادية والحلولية" ، "ما تضمنه فصوص الحكم من الكفر والإلحاد والحلول والاتحاد" ، "مختصر في كفر النصيرية" ، "في جواز قتال الرافضة" ، "إبطال الكيمياء وتحريمها ولو صحت وراجت" ، "الصارم المسلول على شاتم الرسول" ، "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان"[1] .

أما علاء الدين البخاري الحنفي (ت 841هـ/1437م) فكتب "فاضحة الملحدين وناصحة الموحدين" ، وهناك "شرح التائية" لابن حمدان ، و"ديباجة ديوان ابن الفارض ولحن العوام" لابن خليل ، و"شرح التائية" للبساطي ، و"كشف الغطاء" لابن الأهدل[2] .

وكتب سعيد بن محمد بن عبد الله المقدسي الحنفي المعروف بابن الديري "السهام المارقة في كبد الزنادقة"[3] . وألف البقاعي (885هـ/1480م9 كتابه "تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي" ، و"تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد"[4] .

وفي المقابل كان هناك فريقا دافع عن معتقداتهم منهم الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي (ت 805هـ/ 1402م) وكتابه "الإنسان الكامل في

تقدير يرضى به لكونه من قبل الحق ثم المقدور ينقسم إلى ما يجب الرضا به كالإيمان وإلى ما يحرم الرضا به ويكون الرضا به كفرا كالكفر إلى غير ذلك .

انظر : السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 10 ، ص352–355 .

(1) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج7 ، ص24–30 .

(2) البقاعي : تنبيه الغبي ، ص215–216 .

(3) الشوكاني : البدر الطالع ، ج1 ، ص264 ، ترجمة رقم 263 .

(4) حققه عبد الرحمن الوكيل تحت اسم مصرع التصوف ، بيروت ، 1980م .

معرفة الأواخر والأوائل"[1] ، وجلال الدين السيوطي (ت 911هـ/1505م) وله "تنبيه الغبي في تبرئة ابن عربي" ، و"قمع المعارض في نصرة ابن الفارض" ، ومحمد بن جمعة الحصكفي (ت بعد سنة 874هـ/1469م) "ترياق الأفاعي في الرد على الخارج البقاعي"[2] .

كما ألف الصوفية كتبا لتمجيد شيوخهم وسرد مناقبهم وكراماتهم من أشهرها : الطبقات الكبرى للشعراني (ت 973هـ/1565م) [3] .

* * * * *

رأينا كيف كانت الزندقة والانحراف عن الدين من معاول الهدم في الدولة الإسلامية حيث عمل الزنادقة على إفساد عقيدة المسلمين بإدخال البدع والأفكار الضالة عليها ، وكان هدفهم من ذلك صد المسلمين عن سبيل الله

وخطر هؤلاء – الذين ابتليت بهم الأمة – أنهم مستترين بانتمائهم إلى الإسلام ، ولهذا يجب على المسلمين التمسك بتعاليم الدين الإسلامي والحذر من الفرق الضالة وأهل الأهواء والبدع لأن خطرهم على الفرد والمجتمع كبير .

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[4] .

---

(1) طبع القاهرة 1981م .

(2) حققه الشيخ أحمد فريد المزيدي ، سريلانكا ، 2007م ، انظر ص10 .

(3) المسماه بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار ، بيروت ، 1988 .

(4) سورة الأحزاب : آية 57 .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر المطبوعة :

1 – القرآن الكريم

2 – ابن إياس : محمد بن أحمد بن إياس الحنفي :

– بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، 5 أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1982–1984م .

3 – ابن أيبك الدواداري : أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت709هـ/1309م)

– كنز الدرر وجامع الغرر ، ج9 ، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق: هانس روبرت رويمر ، القاهرة ، 1960م .

4 – ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت874هـ)

– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج 7 – ج16 ، ط/دار الكتب ، القاهرة 2006م .

– المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، تحقيق محمد محمد أمين ، ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984 .

– منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ، ج 1 – ج4، حررها وليام ببير ، كاليفورنيا ، 1930–1932م .

5 – ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله (ت728هـ)

– الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ج 3 ، تحقيق محمد عبد الله عمر الحلواني بيروت ، 1417هـ .

6 – ابن الجزري : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي (ت738هـ)

– تاريخ حوادث الزمان وأبنائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه ، المعروف بتاريخ ابن الجزري ، ج 1 ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت 2006م .

7 – ابن حبيب : الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب (ت779هـ/1377م)

– تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، ج 1 – ج3 ، تحقيق محمد محمد أمين ، دار الكتب ، 1976م .

8 – ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين أحمد بن علي محمد الشهير بابن حجر (ت852هـ)

– الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أربعة أجزاء ، حيدر أباد الدكن ، الهند، 1348هـ .

– إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ، ج 1 – ج9 ، بيروت ، 1986 ، ج3 ، تحقيق د. حسن حبشي ، القاهرة ، 1972م .

9 – ابن الحمصي : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الشهير بابن الحصمي (ت934هـ)

– حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران ، ج1 – ج3 ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ، 1999م .

10 – ابن طولون الصالحي : شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالحي (ت953هـ)

- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، وضع حواشيه خليل المنصور، ط/بيروت ، 1998م .
11 ابن العماد الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت1089هـ)
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ط/القاهرة ، 1351هـ .
12 ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات (ت807هـ)
- تاريخ ابن الفرات ، مجلد 7 ، 8 ، تحقيق د. قسطنطين زريق ، بيروت ، 1942م .
13 ابن قاضي شهبة : تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي (ت851هـ)
- تاريخ ابن قاضي شهبة ، مجلد 1 ، 2 ، 3 ، تحقيق عدنان درويش، دمشق ، 1994-1997م .
14 ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت774هـ)
- البداية والنهاية ، ج 13 ، 14 ، بيروت ، 1982م ، ج9 ، ج10 بيروت ، 2006م .
15 أبو شامة : شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي الدمشقي (ت665هـ)
- تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف بالذيل على الروضتين ، نشر عزت العطار ، بيروت ، 1974م .
16 أبو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي المعروف بأبي الفدا (ت732هـ)

– المختصر في أخبار البشر ، ج 4 ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، القاهرة ، د.ت .
17 البرزالي : علم الدين أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي الدمشقي (ت739هـ)
– المقتفى على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي ، ج1 ، ج2 ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ، 2006م .
18 برهان الدين البقاعي (ت885هـ)
– مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، بيروت ، 1980م .
19 البصروي : علي بن يوسف بن أحمد البصروي (ت905هـ)
– تاريخ البصروي ، تحقيق أكرم حسن ، دمشق ، 1408هـ
البغدادي : صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت739هـ)
– مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، 3 مجلدات ، تحقيق علي محمد البجاوي ، بيروت ، 1992م .
20 بيبرس الدواداري : ركن الدين بيبرس الخطائي المنصوري (ت725هـ)
– زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، ج 9 ، تحقيق د. زبيدة محمد عطا، القاهرة ، د.ت .
– مختار الأخبار ، تحقيق د. عبد الحميد صالح حمدان ، ط/القاهرة، 1993م .

21 الذهبي : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، مجلد 14 ، 15 تحقيق د. بشار عواد معروف ، بيروت ، 2003م .
- العبر في خبر من غبر ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، الكويت، 1948 .
- سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط/تاسعة ، بيروت، 1413هـ .

22 السبكي : تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت771هـ)
- معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد علي النجار وآخرين ، القاهرة ، 1948 ، ط/بيروت ، 2007م .
- طبقات الشافعية الكبرى ، ج 9 ، ج10 ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة ، د.ت

23 السخاوي : الحافظ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان (ت902هـ)
- كتاب التبر المسبوك في ذيل السلوك ، تحقيق د. لبيبة إبراهيم مصطفى ، وأ.نجوى مصطفى كامل ، ج 1 – ج4 ، دار الكتب ، 2002–2007م .
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ، 1354م .

24 الشجاعي : شمس الدين الشجاعي
- تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده ، تحقيق بربارة شيفر ، قسم1 فيسبادن ، 1978م .

25 الشعراني : عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي المصري المعروف بالشعراني (ت973هـ)
- الطبقات الكبرى المسماه بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار ، ج1 ، ج2 ، بيروت ، 1988م .
26 الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت764هـ)
- أعيان العصر وأعوان النصر ، ج 1-5 ، تحقيق د. علي أبو زيد وآخرون ، بيروت ، 1998م .
- الوافي بالوفيات ، باعتناء رضوان السيد ، ط/بيروت ، 1993م .
27 الصيرفي : علي بن داود الجوهري الصيرفي (ت900هـ)
- إنباء الهصر بأنباء العصر ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ، 1970م .
- نزهة النفوس والأبدان ، ثلاثة أجزاء ، تحقيق حسن حبشي ، دار الكتب ، 1970-1973م ، ج4 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994م .
28 العيني : بدر الدين محمود العيني (ت855هـ)
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، ج 1 - ج4 ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987-1992 ، وجزء بتحقيق د. عبد الرازق الطنطاوي القرموط ، القاهرة ، 1989م .
29 الكتبي : محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي (ت764هـ)
- فوات الوفيات ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، د.ت .

30 مجهول : ك ، ف . زترشتين
- تاريخ سلاطين المماليك ، ليدن ، 1919م .
31 المقريزي : تقي الدين ابن العباس أحمد بن علي (ت845هـ)
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج 2 ، ط/ثانية ، القاهرة، 1987م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج 1 ، ج2 ، تحقيق د. محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، 1939-1942 ، 1958 ، ج3 ، ج4، تحقيق د. سعيد عاشور ، القاهرة ، 1970-1973م .
32 النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج 32 ، تحقيق فهيم محمد علوي شلتوت ، ط/ثانية دار الكتب ، 2002م ، ج33 ، ط/ثالثة ، 2008م .
33 اليافعي : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني (ت768هـ)
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج4 ، بيروت ، 1970م .
34 اليونيني : قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمد بن قطب الدين اليونيني البعلبكي الحنبلي (ت726هـ)
- ذيل مرآة الزمان ، أربعة أجزاء ، ط / حيدر أباد الدن 1954 ، ج1 ، ج2 ، تحقيق د. حمزة عباس ، ط / أبو ظبي ، 2007م .

ثانيا : المراجع :

1 – أحمد محمود كريمة : قضية التكفير في الفقه الإسلامي ، القاهرة ، 1996م .
2 – حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج2 ، القاهرة ، 1962م .
3 – حسن أحمد عبد الجليل البطاوي : أهل العمامة في مصر عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، 2007م .
4 – دائرة المعارف الإسلامية ، ج10 ، مادة زندقة .
5 – زين العابدين شمس الدين نجم : معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية ، القاهرة 2006م .
6 – سعيد عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة، 1992م.
7 – سميرة مختار محمد الليثي : حركات الزنادقة في العصر العباسي الأول (132–232هـ) رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، كلية البنات ، عين شمس ، 1968م .
8 – عبد الرحمن بدوي : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ، القاهرة ، 1993م .
9 – عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف : مقالات في المذاهب والفرق ، الرياض ، 1413هـ .
10 – محمد صبري الدالي : أتباع ابن عربي وابن الفارض في مصر خلال العصر العثماني ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية ، العدد 44 ، العدد الأول ، مايو ، 2006م .
11 – محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، ج2 ، القاهرة، 1947م .

12 مراد وهبة : معجم المصطلحات الفلسفية ، القاهرة ، 1998م .
13 مصطفى السباعي : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ط/ثانية ، بيروت ، 2000م .
14 الندوة العالمية للشباب الإسلامي : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، جزءان ، ط/الرياض ، 1418هـ .